مختارات 1

جورج ليكوف

ترجمة: طارق النعمان

النظرية المعاصرة للاستعارة

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

سلسلة مختارات

(١)

النظرية المعاصرة للاستعارة

تأليف: جورج ليكوف

ترجمة: طارق النعمان

مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة – أثناء – النشر (فان)
ليكوف، جورج، 1941 -
النظرية المعاصرة للاستعارة / تأليف جورج ليكوف ؛ ترجمة طارق النعمان.– الإسكندرية، مصر : مكتبة الإسكندرية، 2014.
ص. سم.
تدمك 978-977-452-291-9
يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.
1. اللغة -- فلسفة. 2. اللغة المقارن، علم. أ. النعمان، طارق. ب. العنوان.
ديوي – 401 2014724900

ISBN: 978-977-452-291-9

رقم الإيداع: 14664/ 2014

© 2014 مكتبة الإسكندرية.
الاستغلال غير التجاري
تم إنتاج المعلومات الواردة في هذا الكتاب للاستخدام الشخصي والمنفعة العامة لأغراض غير تجارية، ويمكن إعادة إصدارها كلها أو جزء منها أو بأية طريقة أخرى، دون أي مقابل ودون تصاريح أخرى من مكتبة الإسكندرية. وإنما نطلب الآتي فقط:
• يجب على المستغلين مراعاة الدقة في إعادة إصدار المصنفات.
• الإشارة إلى مكتبة الإسكندرية بصفتها «مصدر» تلك المصنفات.
• لا يعتبر المصنف الناتج عن إعادة الإصدار نسخة رسمية من المواد الأصلية، ويجب ألا ينسب إلى مكتبة الإسكندرية، وألا يشار إلى أنه تم بدعم منها.

الاستغلال التجاري
يحظر إنتاج نسخ متعددة من المواد الواردة في هذا الكتاب، كله أو جزء منه، بغرض التوزيع أو الاستغلال التجاري، إلا بموجب إذن كتابي من مكتبة الإسكندرية. وللحصول على إذن لإعادة إنتاج المواد الواردة في هذا الكتاب، يرجى الاتصال بمكتبة الإسكندرية، ص.ب. ١٣٨ الشاطبي ٢١٥٢٦، الإسكندرية، مصر. البريد الإلكتروني: secretariat@bibalex.org

المراجعة اللغوية: إدارة النشر
الإخراج الفني: صفاء الديب
تصميم الغلاف: حسن عصام

هذه ترجمة لدراسة بعنوان:

The Contemporary Theory of Metaphor

من تأليف جورج ليكوف. وهي منشورة ضمن الطبعة الثانية، وليست الأولى، من كتاب **«الاستعارة والفكر»**، تحرير أندرو أرطوني. *METAPHOR AND THOUGHT* الصادر عام ١٩٩٣.

يجدر تنبيه القارئ بأن جورج ليكوف مؤلف مشارك مع مارك جونسون لكتابي «الاستعارات التي نحيا بها»، و«الفلسفة في الجسد». وإضافة إلى ذلك فهو مؤلف «النساء والنار وأشياء خطرة»، وأيضًا «السياسة الأخلاقية»، و«لا تفكّر في فيل والعقل السياسي». وهو أستاذ اللغويات بجامعة كاليفورنيا، وواحد من أبرز المشتغلين باللغويات المعرفية.

المترجم

النظرية المعاصرة للاستعارة

تأليف: جورج ليكوف
ترجمة: طارق النعمان

«لا تمضِ رقيقًا في تلك الليلةِ الحسناء» — ديلان توماس

«الموت أُم الجمال» — والاس ستيفن «صباح الأحد»

مدخل

تُعدّ هذه الأبيات الشهيرة لتوماس وستيفن أمثلة لما أشار إليه المنظّرون الكلاسيكيون، على الأقل منذ أرسطو، على أنه استعارة: أمثلة للغة شعرية جديدة لا تكون فيها كلمات مثل «أم»، و«تمض»، و«ليلة» مستخدمة بمعناها اليومي المعتاد. ذلك أنه كان يُنظر إلى الاستعارة في النظريات الكلاسيكية للغة بوصفها مسألة لغة، لا مسألة فكر. إذ كان يُفترض في علاقة التعبيرات الاستعارية مع عالم اللغة اليومية المعتادة أن يستبعد كل منهما الآخر؛ فاللغة اليومية خالية من الاستعارة، والاستعارة تستخدم آليات خارج عالم اللغة اليومية المتعارف عليها.

ولقد كان مسلَّمًا تسليمًا كليًّا بالنظرية الكلاسيكية على مر القرون إلى حد أن كثيرين لم يدركوا أنها مجرد نظرية. فلم تؤخذ النظرية على أنها حقيقية true فحسب، بل تم تناولها بوصفها تعريفية definitional؛ فتم تحديد كلمة الاستعارة metaphor بوصفها تعبيرًا لغويًّا جديدًا أو شعريًّا تستخدم فيه كلمة أو أكثر من كلمة لمفهوم خارج معناها العُرفي المعتاد لتعبّر عن مفهوم مشابه similar concept.

بَيْدَ أن مثل هذه القضايا ليست قضايا خاصة بالتعريفات، وإنما هي مسائل إمبريقية. وبوصفي عالمًا ولغويًّا معرفيًّا، فإن المرء يتساءل: ما التعميمات الحاكمة للتعبيرات اللغوية المشار إليها كلاسيكيًّا على أنها «استعارات شعرية»؟

وحين يُجاب عن هذا السؤال جوابًا دقيقًا، يتبدى أن النظرية الكلاسيكية زائفة false. ذلك أن التعميمات الحاكمة للتعبيرات الاستعارية الشعرية ليست في اللغة وإنما في الفكر: إنها ترسيمات عامة general mappings عبر مجالات تصورية conceptual domains. وعلاوة على ذلك، فإن هذه المبادئ العامة التي تتخذ شكل ترسيمات تصورية لا تنطبق فحسب على التعبيرات الشعرية الجديدة، بل على الكثير من اللغة اليومية المعتادة.

باختصار، إن موقع الاستعارة ليس في اللغة على الإطلاق، وإنما في الكيفية التي نُفْهِم conceptualize بها مجالاً ذهنيًّا ما وفقًا لمجال آخر. فالنظرية العامة للاستعارة تطرح نفسها من خلال تشخيص سمات مثل هذه الترسيمات العابرة للمجالات cross-domain mappings. وفي مسار

العملية يتبدى أيضًا أن مفاهيم يومية مجرَّدة، مثل الزمن time، والأوضاع states، والتغير change، والسببية causation، والغرض purpose هي مفاهيم استعارية.

والنتيجة هي أن الاستعارة (أي: الترسيمات العابرة للمجالات) تُعد مركزية مطلقة لدلاليات اللغة الطبيعية المعتادة ordinary natural language semantics، وأن دراسة الاستعارة الأدبية هي امتداد لدراسة الاستعارة اليومية everyday metaphor. ذلك أن الاستعارة اليومية مميَّزة بنسق هائل من آلاف الترسيمات العابرة للمجالات، وتتم الاستفادة من هذا النسق في الاستعارة الجديدة. وبسبب هذه النتائج الإمبريقية تسنى لكلمة «الاستعارة» أن تستخدم بشكل مختلف في البحث المعاصر للاستعارة. لقد أصبحت تعني «ترسيمًا عابرًا للمجالات في النسق التصوري». ويشير مصطلح التعبير الاستعاري metaphorical expression إلى تعبير لغوي (كلمة، أو عبارة phrase، أو جملة)، هو بمنزلة التحقق الظاهري the surface realization لمثل هذا الترسيم العابر للمجالات (هذا هو ما أشارت إليه كلمة «الاستعارة» في النظرية القديمة). وسوف أتبنى الاستخدام المعاصر على امتداد هذه الدراسة.

وثمة نقاش لنتائج إمبريقية تُثبت الواقع المعرفي للنسق الواسع المدى للترسيمات الاستعارية لدى جيبس (ضمن هذا الكتاب). كما يظهر بالتفصيل كتاب مارك تيرنر «الموت أُمُّ الجمال»، "Death is the Mother of Beauty" الصادر عام ١٩٨٧، والذي يأتي عنوانه من بيت ستيفن العظيم، كيف أن ذلك البيت يستخدم النسق الاعتيادي للترسيمات اليومية everyday mappings. ولمزيد من الأمثلة حول كيف تستفيد الاستعارة الأدبية من نسق الاستعارة العادية، انظر (أكثر من العقل الهادئ: دليل عقلي إلى الاستعارة الشعرية، تأليف ليكوف وتيرنر، ١٩٨٩)، وانظر (قراءة العقول: دراسة الإنجليزية في عصر العلم المعرفي، تأليف تيرنر، ١٩٩١).

ولما كان نسق الاستعارة اليومية مركزيًا لفهم الاستعارة الشعرية، فإننا سنبدأ بالنسق اليومي ثم ننتقل إلى الأمثلة الشعرية.

إشادة بمايكل ريدي

يمكن الرجوع بالنظرية المعاصرة القائلة بأَنَّ الاستعارة أساسًا تصوريةٌ وعُرفية Conventional وجزء من النسق الاعتيادي للفكر واللغة إلى مقال مايكل ريدي (المضمَّن في هذا المجلد) «استعارة الأنبوب» الذي يعد الآن كلاسيكيًا، والذي ظهر لأول مرة في الطبعة الأولى من هذا السفر.

لقد فعل ريدي في هذا المقال أكثر بكثير مما أوحى به في تواضع؛ إذ بتحليله لمثال مفرد تحليلاً شاملاً، أتاح لنا أن نرى - وإن يكن في مجال محصور- أن إنجليزية الحياة اليومية الاعتيادية استعارية على نطاق واسع، نابذًا مرة وإلى الأبد الرؤية التقليدية القائلة بأَنَّ الاستعارة أساسٌ في عالم اللغة الشعرية أو المجازية figurative. لقد أظهر ريدي، بالنسبة لحالة مفردة ودالة جدًا، أن موقع الاستعارة هو الفكر وليس اللغة، وأن الاستعارة جزء رئيسي ولا غنى عنه من طريقتنا الاعتيادية العُرفية لمَفْهَمَة العالم conceptualizing the world، وأن سلوكنا اليومي يعكس فهمنا الاستعاري للخبرة. وعلى الرغم من أن منظِّرين آخرين قد لاحظوا بعض خصائص الاستعارة هذه، فإن ريدي كان أول من يدلّل عليها؛ من خلال تحليل لغوي صارم، صائغًا تعميمات من خلال أمثلة كثيرة.

لقد منحنا فصل ريدي عن كيف نُفْهِم مفهوم التواصل بالاستعارة لمحة خاطفة على نسق ضخم للاستعارة التصورية. ومنذ ظهوره أخذ فرع كامل من اللغويات والعلم المعرفي يتطور ليدرس أنساق الفكر الاستعاري التي نستخدمها لنعلّل أفعالنا ونؤسّسها عليها، والتي تباطن جزءًا كبيرًا من بنية اللغة.

لقد كتب القسم الأكبر من فصول هذا الكتاب قبل تطور الحقل المعاصر لدراسة الاستعارة. ولذلك فإن فصلي هذا سيناقض كثيرًا ما يظهر في الفصول الأخرى؛ إذ يصوغ عديد منها افتراضات محدَّدة، كان مسلَّمًا بها على نحو عريض في عام ١٩٧٧. ومن هذه الافتراضات التي يتحداها البحث المعاصر الافتراض الرئيسي حول الفصل التقليدي بين اللغة الحرفية والمجازية، مع تصنيف الاستعارة بوصفها نوعًا من أنواع اللغة المجازية. ويلزم عن هذا، تحديدًا، أن: ما هو حرفي ليس استعاريًا. وفي الواقع، إن كلمة حرفي literal كانت تستخدم تقليديًا مع مجموعة أو أكثر من الافتراضات التي أثبتت كونها زائفة منذ ذلك الحين.

افتراضات تقليدية زائفة

- كل لغة الحياة اليومية العُرفية حرفية، وليس فيها ما هو استعاري.
- كل موضوع من موضوعات البحث يمكن أن يكون مفهومًا بشكل حرفي، بدون استعارة.
- اللغة الحرفية فقط يمكن أن تكون - تبعًا للظروف - حقيقية أو زائفة.
- كل التحديدات المعطاة في معجم لغة ما حرفية، وليست استعارية.
- المفاهيم المستخدمة في نحو لغة ما كلها حرفية، وليس منها ما هو استعاري.

يكمن الاختلاف الكبير بين النظرية المعاصرة ورؤى الاستعارة السابقة على عمل ريدي - في هذه المجموعة من الافتراضات. ويتمثل سبب الاختلاف في أنه - في السنوات الفاصلة بينهما - تم اكتشاف نسق ضخم من استعارات الحياة اليومية العُرفية التصورية. وهو نسق الاستعارة الذي يبني نسقنا التصوري اليومي، بما في ذلك أكثرها تجريدًا، والذي يقبع خلف الكثير من لغتنا اليومية. وقد دمَّر اكتشافُ هذا النسق المهول للاستعارة التمييز التقليدي (حرفي - مجازي)، ذلك أن المصطلح «حرفي» رَغْمَ أَنَّهُ مستخدم في تحديد التمييز التقليدي فهو يحمل معه كل تلك الافتراضات الزائفة.

إن أحد الاختلافات الرئيسية بين النظرية المعاصرة والنظرية الكلاسيكية يقوم على التمييز القديم (حرفي - مجازي). وفي ظل ذلك التمييز، قد يظن المرء أنه «يتوصل إلى» تأويل استعاري لجملة ما من خلال «البدء» بالمعنى الحرفي وتطبيق عملية خوارزمية ما some algorithmic process عليها (انظر سيرل، هذا الكتاب). وعلى الرغم من أنه توجد هناك بالفعل حالات يحدث فيها شيء ما مثل هذا، فإن هذا لا يمثِّل بشكل عام كيفية عمل الاستعارات - كما سنرى بعد قليل -.

ما ليس استعاريًّا

على الرغم من أن التمييز القديم (حرفي - استعاري) كان مؤسَّسًا على افتراضات ثبت أنها زائفة، فإنه يمكِّن المرء أن يصوغ نوعًا مختلفًا من التمييز (حرفي - استعاري)؛ إذ من الممكن لتلك المفاهيم التي

لا تكون مستوعبة بواسطة استعارة تصورية أن تُدْعَى «حرفية». ومن ثمَّ، ومع أنني سأجادل بأن العديد من المفاهيم العامة مثل السببية والغرض هي استعارية، فإنه على الرغم من ذلك فَثمة مدى واسع من المفاهيم غير الاستعارية؛ إذ إن جملة مثل «صعد البالون» "the balloon went up" ليست استعارية، وكذلك أيضًا المثال المفضَّل للفيلسوف القديم «القط على البساط» "the cat on the mat". إلاَّ أنَّهُ ما إنْ يبتعد المرء عن الخبرة الفيزيقية المادية ويبدأ الحديث عن المجرَّدات أو العواطف، حتى يصبح الفهم الاستعاري هو المعيار.

النظرية المعاصرة: بعض الأمثلة

دعونا الآن ننتقل إلى بعض الأمثلة الموضِّحة للبحث المعاصر للاستعارة. وستأتي في معظمها من مجال الاستعارة اليومية العُرفية؛ نظرًا لأن ذلك يمثِّل البؤرة الأساسية للبحث. وسأنتقل إلى مناقشة الاستعارة الشعرية فقط بعد أن أكون قد ناقشت النسق العُرفي the conventional system، ذلك أن معرفة النسق العُرفي مطلوبة لكيما تُفهم معظم الاستعارات الشعرية.

إن الدليل على وجود نسق من الاستعارات التصورية العُرفية ذو خمسة أنماط:

- تعميمات حاكمة للتعدد الدلالي polysemy؛ أي استخدام كلمات ذات عدد من المعاني المرتبطة.
- تعميمات حاكمة لنماذج الاستدلال inference patterns؛ أي الحالات التي يكون مستخدمًا فيها نموذج استدلالات من مجال تصوري ما في مجال آخر.
- تعميمات حاكمة للغة الاستعارية الجديدة (انظر ليكوف وتيرز، ١٩٨٩)
- تعميمات حاكمة لنماذج التغير الدلالي (انظر سويتسر، ١٩٩٠).
- تجارب سيكو- لغوية (انظر، جيبس ١٩٩٠)، وسنناقش بشكل أساسي المصادر الثلاثة الأولى من هذه المصادر للأدلة؛ نظرًا لأنها الأكثر صلابة.

الاستعارة التصورية

تخيل علاقة حب موصوفة على النحو التالي:

- «لقد وصلت علاقتنا إلى طريق مسدود».

هنا يكون الحب مُفْهَمًا بوصفه رحلة a journey، مع تضمين أن العلاقة متعثرة، بحيث إن الحبيبين لا يقدران أن يواصلا المضي في الطريق الذي كانا يمضيان فيه، إلى حد أنهما يجب أن يَقْفُلا عائدين أو يَهجُرا العلاقة كلية. وليست هذه حالة معزولة؛ إذ تحظى الإنجليزية بتعبيرات يومية عديدة مؤسَّسة على مفهمة الحب بوصفه رحلة، وهي ليست مستخدمة فقط للكلام حول الحب، بل للاستدلال حوله كذلك.

وبعض هذه التعبيرات هو بالضرورة حول الحب، بينما يمكن لبعضها الآخر أن يفهم على ذلك النحو:

- انظر إلى أي مدى وصلنا.
- إنه لطريق طويل وعر.
- إننا لا نستطيع أن نعود الآن.
- إننا في مفترق طرق.
- لعله يجب على كلٍّ منا أن يمضي في طريقه الخاص.
- إن العلاقة لن تمضي إلى أية وجهة.
- إننا ندير عجلاتنا في الفراغ.
- علاقتنا خارج المسار.
- الزواج على حافة السقوط.
- لعله يجب علينا أن نقفز من هذه العلاقة.

إن هذه تعبيرات إنجليزية يومية معتادة. وهي ليست شعرية، وليست بالضرورة مستخدمة من أجل تأثير بلاغي خاص. فتعبيرات مثل «انظر إلى أي مدى وصلنا»، التي ليست بالضرورة حول الحب - يمكن أن يتم فهمها بسهولة بوصفها عن الحب.

وبوصفي لغويًا وعالمًا معرفيًا، فإنني أطرح سؤالين عامين:

- هل ثمة مبدأ عام يحكم كيف تكون هذه التعبيرات اللغوية حول الرحلات مستخدمة لتشخّص الحب؟
- هل ثمة مبدأ عام يحكم كيف تكون نماذج الاستدلال حول الرحلات مستخدمة لتستدل حول الحب حين تكون تعبيرات من هذا النوع مستخدمة؟

إن الجواب عن كلا السؤالين هو نعم. حقًا، ثمة مبدأ عام مفرد يجيب عن كلا السؤالين، إلا أنه مبدأ عام لا هو جزء من نحو الإنجليزية ولا من المعجم الإنجليزي. وإنما هو جزء من النسق التصوري المباطن للغة الإنجليزية. إنه مبدأ لفهم مجال الحب وفقًا لمجال الرحلات.

ويمكن صياغة المبدأ دون تكلف على أنه سيناريو استعاري a metaphorical scenario:
الحبيبان مسافران في رحلة معًا، وأهداف حياتهما المشتركة مرئية بوصفها محطات يجب الوصول إليها. والعلاقة هي مركبتهما التي تمكّنهما من أن يتابعا تلك الأهداف المشتركة معًا. ويُنظر إلى العلاقة بوصفها منجزة لغرضها ما دامت تمكّنهما من أن يحرزا تقدمًا نحو أغراضهما المشتركة، والرحلة ليست سهلة؛ إذ ثمة عوائق وثمة مواضع (هي مفترق طرق) يجب فيها أن يُتخذ قرار حول أي السبل يجب السير فيها، وإذا ما كان يجب مواصلة السفر معًا أو لا.

إن الاستعارة تتضمن فهم مجال ما من الخبرة؛ وهو الحب، وفقًا لمجال مختلف جدًا من الخبرة؛ هو الرحلات. بشكل أكثر تخصصًا، يمكن فهم الاستعارة بوصفها ترسيمًا Mapping (بالمعنى الرياضي)[1] من مجال انطلاق a source domain (في هذه الحالة هو الرحلات) إلى مجال وصول a target domain (في هذه الحالة هو الحب). والترسيم مبني بإحكام؛ إذ توجد تناظرات أنطولوجية ontological correspondences، ووفقًا لها تتناظر كيانات في مجال الحب، مثل (الحبيبين، أهدافهما المشتركة، صعوباتهما، علاقة الحب.. إلخ) بشكل منتظم مع كيانات في مجال الرحلة (المسافرين، وسيلة المواصلات، محطات الوصول.. إلخ).

ولنجعل مسألة تذكر أي من الترسيمات التي تكون موجودة في النسق التصوري أسهل. فإننا قد تبنينا، أنا وجونسون (ليكوف وجونسون، ١٩٨٠)، استراتيجية لتسمية مثل هذه الترسيمات، مستخدمين مفاتيح تذكيرية mnemonics تُوحي بالترسيم. وهي أسماء تذكيرية mnemonic names تُتخذ نمطيًا (وإن لم يكن بشكل دائم)؛ الشكل: مجال الوصول هو مجال الانطلاق Target Domain is Source Domain، أو بدلاً من ذلك: مجال الوصول بوصفه مجالَ الانطلاق. وفي هذه الحالة اسم الترسيم هو الحب رحلة، وحين أتحدث عن استعارة الحب رحلة فإنني أستخدم مفتاحًا تذكيريًا لمجموعة من التناظرات الأنطولوجية التي تشخّص ترسيمًا، أي:

- الحب بوصفه رحلة
- الحبيبان يناظران المسافرين.
- علاقة الحب تناظر المركبة.
- أهداف الحبيبين المشتركة تناظر محطات وصولهما المشتركة في الرحلة.
- الصعوبات في العلاقة تناظر عقبات السفر.

إنه لخطأ شائع أن يخلط اسم الترسيم the name of mapping الحب رحلة، بالترسيم نفسه. فالترسيم هو مجموعة التناظرات. ومنَ ثمَّ فحينما أشير إلى استعارة بمفتاح تذكيري مثل الحب رحلة، فإنني أكون مشيرًا إلى مثل هذه المجموعة من التناظرات.

ذلك أنه إنْ تم خلط الترسيمات بأسماء الترسيمات [٢] فإن ثمة إساءة فهم أخرى يمكن أن تنشأ. إن أسماء الترسيمات يكون لها عمومًا شكل قضوي propositional form، على سبيل المثال الحب رحلة. لكن الترسيمات نفسها ليست قضايا Propositions. ولذا إذا تم خلط الترسيمات بأسماء الترسيمات، فإنه قد يظن المرء خطأ أن الاستعارات، في هذه النظرية، قَضَويَّة. هذا، في حين أن الاستعارات يمكن أن تكون أي شيء آخر عدا ذلك: إن الاستعارات ترسيمات Mappings؛ أي مجموعات من التناظرات التصورية.

إن ترسيم الحب رحلة هو مجموعة من التناظرات الأنطولوجية التي تشخّص تناظرات إبستيمية epistemic correspondences من خلال ترسيم المعرفة حول الرحلات على المعرفة حول الحب. ومثل هذه التناظرات تتيح لنا أن نستدل حول الحب مستخدمين المعرفة التي نستخدمها لنستدل حول الرحلات.

دعونا نأخذ مثالاً، تأمّل التعبير «لقد غرزنا» "we got stuck" يقوله أحد الحبيبين للآخر حول علاقتهما. كيف يكون لهذا التعبير الخاص بالسفر أن يفهم بوصفه حول علاقتهما؟

«لقد غرزنا» يمكن أن يكون مستخدمًا للسفر، وحين يكون كذلك فإنه يثير معرفة خاصة بالسفر. إن المعرفة الدقيقة يمكن أن تتفاوت من شخص إلى آخر، لكنه هنا مثال نموذجي لنوع المعرفة المثارة. إن التعبيرات ذات البنط المختلف تمثل كيانات في أنطولوجيا السفر؛ أي في مجال انطلاق ترسيم الحب رحلة المقدم أعلاه.

مسافران في مركبة، يسافران إلى محطة وصول مشتركة. تواجه المركبة عقبة ما وتنغرز فيها، أي تصبح معطّلة، وإن لم يفعل المسافران شيئًا فلن يصلا إلى محطتهما. وثمة عدد محدود من الخيارات للفعل.

إذ يمكنهما أن يحاولا أن يجعلا المركبة تتحرك ثانية، إمّا بإصلاحها وإما بجعلها تتخطى العقبة التي أوقفتها. كما يمكنهما أن يظلا في المركبة المعطلة، ويتخليا عن بلوغ محطتهما. مثلما يمكنهما التخلي عن المركبة.

إن خيار البقاء في المركبة المعطّلة يكلّف أقل جهد، إلا أنه لا يشبع رغبة أن يبلغا محطتهما.

إن التناظرات الأنطولوجية التي تؤلّف استعارة الحب رحلة ترسّم أنطولوجيا السفر على أنطولوجيا الحب. وبإجراء ذلك، فإنها (أي هذه التناظرات) ترسّم هذا السيناريو الخاص بالسفر على سيناريو الحب المناظر الذي تكون من خلاله الخيارات المناظرة للفعل مرئية. وهنا يكون سيناريو الحب المناظر الذي ينتج عن تطبيق التناظرات على بنية هذه المعرفة. أمّا كيانات مجال الوصول المرسّمة بالتناظرات فمطبوعة ببنط مختلف:

حبيبان في علاقة حب، يتتبعان أهداف حياة مشتركة: العلاقة تواجه صعوبة ما، وهو ما يجعلها معطلة، وإن لم يفعلا شيئًا فلن يكونا قادرين على أن يحقّقا أهداف حياتهما. وثمة عدد محدود من

الخيارات للفعل: يمكنهما أن يحاولا أن يجعلاها تتحرك مرة أخرى، إمّا بإصلاحها وإما بجعلها تتجاوز الصعوبة.

يمكنهما أن يظلا في العلاقة المعطلة ويتخليا عن تحقيق أهداف حياتهما.

يمكنهما أن يتخليا عن العلاقة.

إن خيار البقاء في العلاقة المعطلة يكلف الجهد الأقل، إلا أنه لا يشبع رغبة تحقيق أهداف الحياة.

إن هذا مثالٌ على نموذج استدلال مرسَّم من مجال إلى آخر. وإنه لبواسطة مثل هذه الترسيمات نطبّق المعرفة الخاصة بالسفر على علاقات الحب.

الاستعارات ليست مجرد كلمات

إن ما يؤلّف استعارة الحب رحلة ليس أية كلمات خاصة أو تعبير خاص. إنه الترسيم الأنطولوجي عبر المجالات التصورية، من مجال الانطلاق الخاص بالرحلات إلى مجال الوصول الخاص بالحب. فالاستعارة ليست مجرَّد مسألة لغة، وإنما مسألة فكر وعقل reason أمّا اللغة فهي ثانوية secondary. هذا في حين أن الترسيم أساسي؛ بما أنه يجيز استخدام لغة مجال الانطلاق ونماذج الاستدلال لمفاهيم مجال الوصول. كما أن الترسيم عُرفي conventional؛ أي أنه جزء راسخ fixed من نسقنا التصوري، طريقة من طرقنا العُرفية لمفهمة علاقات الحب. إن هذه الرؤية لعلى خلاف كامل مع رؤية أن الاستعارة مجرد تعبيرات لغوية. إذ لو كانت الاستعارات ليست إلا تعبيرات لغوية لكان علينا أن نتوقع أن تكون التعبيرات اللغوية المختلفة استعارات مختلفة. وبناءً على ذلك، كان يفترض أن تشكّل «إننا وصلنا إلى طريق مسدود» استعارة قائمة بذاتها، في حين تشكّل «إننا لا نستطيع أن نعود الآن» استعارة أخرى مختلفة كلية، ولكان تعبير «إن زواجهم على حافة السقوط» يشتمل كذلك على استعارة مختلفة. وهكذا بالنسبة لعشرات الأمثلة. ومع ذلك فلا يبدو أن لدينا عشرات الاستعارات المختلفة هنا. وإنما لدينا استعارة واحدة، الحب مُفْهَم فيها بوصفه رحلة. وينبئنا الترسيم بدقة: كيف يكون الحب مُفْهَمًا كرحلة.

وهذه الكيفية الموحَّدة في مفهمة الحب استعاريًا متحققةٌ في عديد من التعبيرات اللغوية المختلفة.

وينبغي ملاحظة أن منظّري الاستعارة المعاصرين عمومًا يستخدمون مصطلح «الاستعارة»؛ ليشيروا إلى الترسيم التصوري، ومصطلح التعبير الاستعاري metaphorical expression؛ ليشيروا إلى تعبير لغوي مفرد (مثل طريق مسدود) (like a dead-end street) الذي يكون جائزًا بواسطة ترسيم ما. هذا، وقد تبنينا هذه المصطلحية للسبب التالي: وهو أن الاستعارة؛ كظاهرة، تشتمل على كل من الترسيمات التصورية والتعبيرات اللغوية المفردة. ومن المهم أن نحافظ عليهما متمايزين. وبما أن الترسيمات هي الأساسية وهي التي تصوغ التعميمات التي تشكّل اهتمامنا الرئيسي، فقد أبقينا على مصطلح «الاستعارة» للترسيمات، وليس للتعبيرات اللغوية.

في أدبيات الحقل تستخدم الحروف الكبيرة بالبنط الصغير مثل «الحب رحلة» "Love is a Journey"

كمفاتيح تذكيرية لتسمية الترسيمات. ومن ثمَّ، فحين نشير إلى استعارة الحب رحلة، فإننا نشير إلى مجموعة التناظرات المناقشة أعلاه. أمَّا الجملة الإنجليزية «الحب رحلة» "love is a journey" في المقابل، فهي تعبير استعاري a metaphorical expression، مفهوم بواسطة تلك المجموعة من التناظرات.

تعميمات

إن استعارة الحب رحلة هي ترسيم تصوري يشخّص تعميمًا من نوعين:

تعميم تعدد الدلالة polysemy generalization: تعميم على معاني التعبيرات اللغوية المترابطة، على سبيل المثال: طريق مسدود dead-end street، مفترق طرق crossroads، مغروز stuck، مديرًا عجلاته في الفراغ spinning one's wheels، غير مفضٍ إلى أي وجهة not going anywhere، وهكذا.

تعميم استدلالي inferential generalization: تعميم على استدلالات عبر مجالات تصورية مختلفة؛ أي أن وجود الترسيم يقدم جوابًا عن سؤالين:

- لماذا تُستخدَم الكلمات الخاصة بالسفر لتصف علاقات الحب؟
- لماذا تكون نماذج الاستدلال المستخدَمة للاستدلال على السفر مستخدَمة أيضًا للاستدلال على علاقات الحب؟

وبشكل مماثل، فإن وجود مثل هذه الأزواج العابرة للمجالات من الكلمات ونماذج الاستدلال يقدم - من منظور المحلّل اللغوي - دليلاً على وجود مثل هذه الترسيمات.

امتدادات جديدة لاستعارات عُرفية

إن مسألة كون ترسيم الحب رحلة هو جزء راسخ من نسقنا التصوري يفسّر السبب الذي لأجله يمكن للاستخدامات الجديدة والخيالية للترسيم أن تكون مفهومة على الفور، إذا ما أُخذت في الحسبان التناظرات الأنطولوجية والمعرفة الأخرى الخاصة بالرحلات؛ لنأخذ الأغنية العاطفية:

«إننا نقود في الحارة السريعة على الطريق المفتوح للحب».
"We're driving in the fast lane on the freeway of love"

إن معرفة السفر المستدعاة هي هذه: حين تقود في الحارة السريعة فإنك تقطع طريقًا طويلًا في وقت قصير، ويمكن أن يكون مثيرًا و خطِرًا. إن الترسيم الاستعاري العام يرسّم هذه المعرفة الخاصة بالقيادة على المعرفة الخاصة بعلاقات الحب؛ إذ يمكن أن يكون الخطر بالنسبة للمركبة (حيث يمكن ألا تستمر العلاقة)، أو بالنسبة للركاب (حيث يمكن أن ينجرح الحبيبان عاطفيًا). أمّا بُعد الإثارة في رحلة الحب فهو بُعد جنسي. إن فهمنا للأغنية العاطفية هو نتاج للتناظرات الاستعارية الموجود سلفًا لاستعارة الحب رحلة؛ فالأغنية العاطفية قابلة للفهم مباشرة للناطقين بالإنجليزية؛ لأن تلك التناظرات الاستعارية هي فعلاً جزءٌ من نسقنا التصوري.

لقد كانت استعارة الحب رحلة واستعارة الأنبوب لريدي هما المثالان اللذان أقنعاني في البداية أن الاستعارة لم تكن مجازًا لغويًا a figure of speech، وإنما أسلوب تفكير a mode of thought، محدَّد بترسيم منتظم a systematic mapping من مجال الانطلاق إلى مجال الوصول. كما أقنعتني أيضًا خصائص الاستعارة الثلاثة التي ناقشتها للتو، والمتمثلة في:

١ – الانتظامية في التناظرات اللغوية.
٢ – استخدام الاستعارة للسيطرة على الاستدلال والسلوك المؤسَّس على ذلك الاستدلال.
٣ – إمكانية فهم الامتدادات الجديدة بناءً على التناظرات العُرفية.

التحفيز

إن كل استعارة عُرفية - أي كل ترسيمة mapping - هي نموذج راسخ لتناظر تصوري عبر مجالات تصورية. وبحكم ذلك، فإن كل ترسيم يحدّد فئة مفتوحة النهاية an open ended class لتناظرات ممكنة potential correspondences عبر نماذج الاستدلال. وحين يتم تحفيز ترسيم ما، يمكن له أن يُطبَّق على بنية معرفة مجال انطلاق جديد، ويشخّص بنية معرفة مجال وصول مناظر.

إلا أنه لا ينبغي أن يتم تصور الترسيمات بوصفها عمليات Processes أو بوصفها حلولاً حسابية logarithms تستوعب ميكانيكيًا مُدخَلات مجال الانطلاق وتنتج مُخرَجات مجال الوصول. بل بدلاً من ذلك، ينبغي أن يُرى كل ترسيم بوصفه نموذجًا راسخًا من التناظرات الأنطولوجية عبر مجالات يمكن أن تكون، ويمكن ألا تكون منطبقة على بنية معرفة مجال الانطلاق، أو على وحدة معجمية من مجال الانطلاق a source domain lexical item. وهكذا، فإن الوحدات المعجمية التي تكون عُرفية في مجال الانطلاق لا تكون دائمًا عُرفية في مجال الوصول. بل بدلاً من ذلك؛ فإن كل وحدة معجمية من مجال الانطلاق يمكن أن تفيد أو لا تفيد من نموذج الترسيم الثابت، فإن كانت تفيد فإنها تحظى بمعنى موسَّع معجميًا في مجال الوصول؛ حيث يكون ذلك المعنى مشخَّصًا characterized بالترسيم.

وأمّا إذا كانت لا تفيد فإن الوحدة المعجمية المنتمية إلى مجال الانطلاق لن تحظى بمعنى عُرفي في مجال الوصول، إلا أنها يمكن أن تكون مع ذلك مرسَّمة بنشاط في حالة الاستعارة الجديدة. ومن ثمَّ، فإن كلمات الطريق المفتوح freeway والحارة السريعة fastlane ليست مستخدمة عُرفيًا للحب، إلا أن بِنَى المعرفة المترابطة معها مرسَّمة باستعارة الحب رحلة في حالة «إننا نقود في الحارة السريعة على الطريق المفتوح للحب».

رواسم لغوية قابلة للتصوير

إن عديدًا من التعبيرات الاستعارية المناقشة في التراث عن الاستعارة العُرفية هي رواسم لغوية idioms. ووفقًا للرؤى الكلاسيكية تحظى الرواسم اللغوية بمعانٍ اعتباطية arbitrary meanings، لكن داخل اللغويات المعرفية توجد إمكانية ألا تكون اعتباطية، بل بالأحرى محفَّزة motivated؛ أي أنها لا تنشأ آليًا بقواعد إنتاجية، بل إنها توافق نموذجًا أو أكثر من النماذج الحاضرة في النسق التصوري. ودعونا ننظر إلى الرواسم من مسافة أقرب قليلاً.

إن روسمًا مثل «عجلاته تدور في الفراغ» يستدعي صورة ذهنية عُرفية، صورة عجلات عربة غارزة في مادة ما: طين، أو رمل، أو ثلج، أو جليد؛ بحيث إن العربة لا يمكنها أن تتحرك مع تشغيل المحرك في حين أن العجلات تدور. وجزء من معرفتنا عن تلك الصورة يتمثل في أن كثيرًا من الطاقة يكون مبذولاً (بدوران العجلات) دون إحراز أي تقدم؛ بحيث إنه لن يتغير من تلقاء نفسه، مما يتطلب كثيرًا من الجهد من جانب المتورطين في الموقف؛ لكيما يجعلوا المركبة تتحرك ثانية، بل إن ذلك حتى قد يكون غير وارد.

إن استعارة الحب رحلة تُطبَّق على هذه المعرفة الخاصة بالصورة. فهي ترسِّم هذه المعرفة على المعرفة الخاصة بعلاقات الحب؛ إذ يتم إنفاق كثير من الطاقة دون إحراز أي تقدم نحو إنجاز الأهداف المشتركة، ولن يتغير الموقف من تلقاء نفسه؛ إذ سيتطلب كثيرًا من الجهد من جانب المحبين ليحرزا درجة من التقدم، وهكذا. بإيجاز حين تستدعي رواسم ما صورًا عُرفية معينة، يكون من الشائع بالنسبة للاستعارة التصورية المحفَّزة بشكل مستقل أن تمثِّل تلك المعرفة من مجال الانطلاق إلى مجال الوصول. ومن أجل استعراض للأمثلة المُثبِتة لوجود مثل تلك الصور وتلك الترسيمات، انظر جيبس Gibbs (1990a; 1990b).

الترسيمات في المستوى الأعلى

في ترسيم الحب رحلة تناظر علاقة الحب مركبة ما. وتُشكِّل المركبة فئة تصنيفية عليا a superordinate category تتضمن فئات تصنيفية من المستوى الأساس basic level categories من قبيل السيارة والقطار والمركب والطائرة. وأمثلة المركبة vehicles مستقاة نمطيًا من هذا المدى الواسع للفئات التصنيفية الأساسية المستوى: السيارة (طريق طويل وعر long bumpy road، عجلاتنا تدور في الفراغ Spinning our Wheels)، القطار (خارج المسار off the track)، المركب (على الصخور On the rocks، يغرق foundering)، الطائرة (تقلع للتو Just taking off، القفز من Bailing out). إن هذا ليس صدفة؛ إذ وجدنا، بشكل عام، أن الترسيمات تكون في المستوى الأعلى، وليس في المستوى الأساسي. ومن ثمَّ، فإننا لا نجد ترسيمات فرعية عامة بشكل كامل مثل أن علاقة حب ما هي سيارة؛ إذ عندما نجد أن علاقة حب ما مفهمة بوصفها سيارة، فإننا نجدها أيضًا مفهمة بوصفها مركبًا وقطارًا وطائرة وما إلى ذلك. إنها الفئة التصنيفية العليا مركبة، وليست الفئة التصنيفية من المستوى الأساسي سيارة هي ما يكون في الترسيم العام.

ولا ينبغي أن تكون هناك مفاجأة في أن التعميم يكون في المستوى الأعلى، في حين تكون الحالات الخاصة في المستوى الأساسي. ومع ذلك، فإن المستوى الأساسي هو مستوى الصور الذهنية الغنية، وبنية المعرفة الغنية (لمناقشة خصائص الفئات التصنيفية من المستوى الأساسي، انظر ليكوف، ١٩٨٧، ص٣١-٥٠).

إن الترسيم في المستوى الأعلى يفتح الحد الأقصى من الإمكانيات لترسيم بِنًى تصورية غنية في مجال الانطلاق على مجال الوصول؛ نظرًا لأنها تتيح أمثلة عديدة من المستوى الأساسي، كل منها غني بالمعلومات.

وهكذا، يصاغ تكهن حول الترسيمات العُرفية يتمثل في أن: الفئات التصنيفية المرسَّمة ستنحو إلى أن تكون في المستوى الأعلى، وليس في المستوى الأساس. ويغلب ألا يجد المرء ترسيمات مثل علاقة حب ما هي سيارة أو علاقة حب ما هي مركب. بل يغلب بدلاً من ذلك أن يجد المرء حالتَي المستوى الأساسي معًا (على سبيل المثال، السيارات والمراكب معًا)؛ مما يوضِّح أن التعميم أعلى بمستوى واحد، في المستوى الأعلى للمركبة. وقد ثبتت برهنة هذا التكهن في مئات الحالات من الترسيمات العُرفية المدروسة حتى الآن: إنها فئات تصنيفية عليا تلك التي تستخدم في الترسيمات.

مفاهيم دلالية أساسية وهي استعارية

لن يندهش كثيرًا معظم الناس إنْ يكتشفوا أن مفاهيم انفعالية emotional concept مثل الحب والغضب مفهومة استعاريًا. لكن ما هو أكثر إدهاشًا، وأظنه أكثر إثارة، هو إدراك أن العديد من المفاهيم الأكثر أساسية في أنساقنا التصورية تُستوعَب أيضًا بشكل اعتيادي بواسطة الاستعارة - مفاهيم مثل الزمن time، والكم quantity، والوضع state، والتغير change، والفعل action، والسبب cause، والغرض purpose، والوسيلة means، والكيف modality، حتى مفهوم الفئة التصنيفية category. وهي مفاهيم تدخل بشكل اعتيادي في القواعد النحوية للغات، وإذا كانت بالفعل استعارية في طبيعتها، فإن الاستعارة تصبح إذًا مركزية بالنسبة للنحو.

وأود أن أشير إلى أن أنواع الاعتبارات نفسها التي تُفضي إلى قبول استعارة الحب رحلة تُفضي لا محالة إلى استنتاج أن مثل هذه المفاهيم الأساسية تكون في أغلب الأحوال، وربما دائمًا، مفهومة بواسطة الاستعارة.

فئات تصنيفية

إن الفئات التصنيفية الكلاسيكية مفهومة استعاريًا وفقًا لأقاليم محصورة bounded regions أو أوعية containers. ومن ثمَّ، فإن أي شيء يمكن أن يكون داخل in أو خارج out فئة تصنيفية ما، يمكن أن يكون موضوعًا داخل فئة تصنيفية ما، أو منزوعًا من فئة تصنيفية ما. إن منطق الفئات التصنيفية الكلاسيكية هو منطق الأوعية the logic of containers.

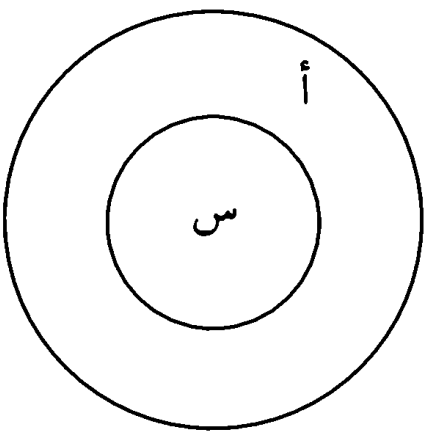

(انظر شكل ١)

(س) في (أ)

(أ) في (ب)

∴ (س) في (ب)

شكل (١)

إذا كانت (س) في الوعاء (أ)، والوعاء (أ) في الوعاء (ب)، إذًا فـ (س) في الوعاء (ب).

إن كون هذا حقيقيًا ليس بسبب أي استنباط منطقي، وإنما بسبب الخواص الطوبولوجية للأوعية. وفي ظل استعارة الفئات التصنيفية الكلاسيكية أوعية، تكون الخواص المنطقية للفئات التصنيفية

موروثة من الخواص المنطقية للأوعية. وإحدى الخصائص الأساسية للفئات التصنيفية الكلاسيكية هي أن القياس الكلاسيكي ينطبق عليها.

- القياس الكلاسيكي:

سقراط إنسان. وكل الناس فانون؛ فلذا سقراط فانٍ.

وهو من الشكل:

إذا كانت (س) في الفئة التصنيفية (أ)، والفئة التصنيفية (أ) في الفئة (ب)، إذًا تكون (س) في الفئة التصنيفية (ب).

وبناءً على ذلك، يمكن أن ترى الخواص المنطقية للفئات التصنيفية الكلاسيكية بوصفها لازمة عن الخواص الطوبولوجية للأوعية زائد الترسيم الاستعاري من الأوعية إلى الفئات التصنيفية. وما دام الترسيم يحافظ على الخواص الطوبولوجية للأوعية، فإن هذه النتيجة ستكون صادقة **true**.

بعبارة أخرى، ثمة تعميم ينبغي أن يُذكر هنا. إن لغة الأوعية تنطبق على الفئات التصنيفية الكلاسيكية ومنطق الأوعية صادق بالنسبة للفئات التصنيفية الكلاسيكية. وينبغي أن يشخِّص ترسيم استعاري مفرد التعميمات اللغوية والمنطقية معًا في آنٍ واحد. ويمكن فعل هذا شريطة أن يتم الحفاظ على الخصائص الطوبولوجية للأوعية في الترسيم.

إن العلاقة اللغوية والاستدلالية المتصلة بين الأوعية والفئات التصنيفية الكلاسيكية ليست حالة منعزلة. ودعونا نتناول مثالاً آخر.

الكم والمقاييس الخطية

إن مفهوم الكميات يشتمل على الأقل على استعارتين. الأولى هي الاستعارة المعروفة جيدًا: الأكثر أعلى More is Up ، الأقل أسفل Less is Down، كما هي موضّحة بعدد غفير من التعبيرات مثل «الأسعار ارتفعت» "Prices rose"، و«الأسهم انطلقت انطلاق الصاروخ» "Stocks skyrocketed"، و«السوق وقع» "The market plummeted"، وما إليها.

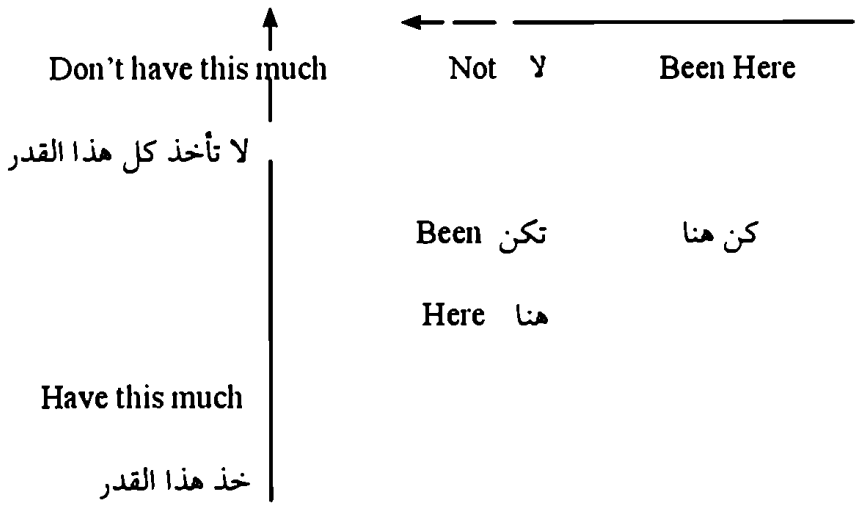

شكل (٢)

والاستعارة الثانية هي أن المقاييس الخطية طرق *Linear Scales are Paths. ويمكننا أن نرى هذا في تعبيرات، مثل:

- جون أكثر ذكاء بمدى من بيل.
- ذكاء جون يمضي أبعد كثيرًا من ذكاء بيل.
- جون متقدم بمسافة على بيل في الذكاء[٣].
- John is far more intelligent than Bill.
- John's intelligence goes way beyond Bill's.
- John is way ahead of Bill in intelligence.

إن الاستعارة ترسّم نقطة بداية الطريق على أدنى نقطة في المقياس، وترسّم المسافة المقطوعة على الكم بشكل عام.

والمثير بشكل خاص هو أن منطق الطرق يُرسَّم على منطق المقياس الخطي (انظر الشكل ٢). استدلال الطريق: إذا كنت ذاهبًا من(أ) إلى (ج) وأنت الآن في النقطة الوسيطة (ب)، إذًا فإنك كنت في كل النقاط بين(أ) و (ب)، ولم تكن في أية نقطة من النقاط بين (ب) و(ج).

مثال: إذا كنت ذاهبًا من سان فرانسيسكو إلى نيويورك عبر المسار ٨٠ وأنت الآن في شيكاغو، إذًا فقد كنت في دنفر وليس في بطرسبرج.

استدلال المقياس الخطي: إذا كان لديك ٥٠ دولارًا بالضبط في حسابك المصرفي، إذًا فإن لديك ٤٠ دولارًا و٣٠ دولارًا وما هو دون ذلك، لكن ليس لديك ٦٠ دولارًا، أو ٧٠ دولارًا، أو أي كم أكبر.

إن شكل هذه الاستدلالات واحد. فاستدلال الطريق the path inference هو نتاج الطوبولوجيا المعرفية للطرق. وسيكون صادقًا بالنسبة لأية خطاطة صورة image-schema عن الطريق. مرة أخرى، ثمة تعميم لغوي - و - استدلالي ينبغي صياغته. وستتم صياغته باستعارة المقاييس الخطية طرق، شريطة أن تحافظ الاستعارات بشكل عام على الطوبولوجيا المعرفية (أي على بنية الصورة الخطاطية) لمجال الانطلاق.

* تعمدت هنا الترجمة الحرفية لهذه الأمثلة من أجل إبراز استعارة أن «المقاييس الخطية طرق». المترجم

وحين ينظر المرء إلى البنية الاستدلالية وحدها، فإنه قد يقترح بديلًا غير استعاري، تكون فيه المقاييس الخطية والطرق معًا حالات من خطاطة تجريدية أعم. لكن حين يؤخذ في الاعتبار كلٌّ من التفاصيل الاستدلالية والمعجمية يصبح واضحًا أن حلًا استعاريًا ما مطلوب.

إن تعبيرًا مثل «متقدم على» "ahead of" مأخوذ من المجال الفضائي the spatial domain، وليس من مجال المقياس الخطي linear scale domain: إن كلمة "ahead" في معناها المحوري محدَّدة بالنسبة لرأس المرء – فهي تشير إلى الاتجاه الذي يواجهه المرء. فالقول إنه ليس ثمة ترسيم استعاري من الطرق إلى المقاييس يعني القول إن تعبير "ahead of" ليس أساسًا فضائيًا ومميِّزًا بالنسبة للرءوس، أي الزعم بدلاً من ذلك أن كلمة "ahead" مجرَّدة جدًا، ومحايدة neutral بين الفضاء والمقاييس الخطية، ولا ترتبط بالرءوس. وسيبدو هذا تحليلاً هجينًا a bizarre analysis. وكذلك بالنسبة لجمل مثل «ذكاء جون يمضي أبعد كثيرًا من ذكاء بيل»؛ إذ سيزعم التحليل غير القائم على الاستعارة أن «يمضي» "go"، ليس أساسًا فعل حركة أصلاً، وإنما هو بصورة ما محايد بين الحركة والعلاقة الخطية.

وهو ما سيبدو أيضًا هجينًا. بإيجاز، إذا كان المرء يسلِّم أن "ahead of" و"go" أساسًا فضائيان، إذًا فإن مسألة أنهما يمكن أن يكونا مستخدمين للمقاييس الخطية تقترح حلًا استعاريًا؛ إذ إنه لا يمكن أن يوجد مثل هذا المعنى المحايد لـ «يمضي» "go" بالنسبة لهذه الحالات، بما أن «يمضي أبعد كثيرًا» "go beyond" تتضمن حركة بالمعنى الفضائي، في حين أنه بمدلول المقياس الخطي لا توجد حركة أو تغير، وإنما فقط نقطة على مقياس. وهنا لا يكون حتى حل الحالة المحايدة متاحًا.

مبدأ الثبات

في الأمثلة التي تناولناها للتو، يتم ترسيم خطاطات الصورة المشخّصة لمجالات الانطلاق (أوعية، طرق) على مجالات الوصول (فئات تصنيفية، مقاييس خطية). وتفضي هذه الملاحظة إلى الفرضية التالية المسمَّاة مبدأ الثبات The Invariance Principle: الترسيمات الاستعارية تحافظ على الطوبولوجيا المعرفية (أي على بنية خطاطة الصورة) لمجال الانطلاق بطريقة متوافقة مع البنية الملازمة The inherent structure لمجال الوصول.

إن ما يفعله (مبدأ الثبات) هو ضمان أنه بالنسبة لخطاطات الوعاء سيتم ترسيم الدواخل interiors على الدواخل، والخوارج exteriors على الخوارج، والحدود boundaries على الحدود، كما أنه بالنسبة لخطاطات الطريق سيتم ترسيم نقاط الانطلاق sources على نقاط الانطلاق، والأهداف goals على الأهداف، والمسارات trajectories على المسارات وهكذا. ولكيما يُفهم مبدأ الثبات فهمًا صحيحًا، من المهم ألا يتم تصور الترسيمات بوصفها عمليات حسابية algorithmic processes «تبدأ» ببنية مجال الانطلاق وتنتهي ببنية مجال الوصول. أمّا مثل هذا الفهم المغلوط للترسيمات فسيفضي إلى فهم مغلوط لمبدأ الثبات، بمعنى أن المرء يلتقط أولاً كل البنية الخطاطية للصورة الخاصة بمجال الانطلاق، ثم يطبعها على copies it onto مجال الوصول ما لم يتداخل مجال الوصول.

بل يُفترض بدلاً من ذلك أن يفكّر المرء في مبدأ الثبات من حيث هو قيود constraints على تناظرات ثابتة fixed correspondences: إذا نظر المرء إلى التناظرات القائمة فسيرى أن مبدأ الثبات ينطبق: دواخل مجال الانطلاق تناظر دواخل مجال الوصول، وخوارج مجال الانطلاق تناظر خوارج مجال الوصول، وهكذا. وكنتاج لهذا، سيتكشف أن بنية الصورة الخطاطية لمجال الوصول لا يمكن أن تكون منتهكة violated؛ إذ لا يمكن للمرء أن يجد حالات يكون فيها داخل مجال انطلاق ما مرسُمًا على خارج مجال وصول ما، أو خارج مجال انطلاق ما مرسُمًا على مسار مجال وصول ما a target domain path. فهذا ببساطة لا يحدث.

مجال الوصول يهيمن

إن النتيجة اللازمة عن مبدأ الثبات هي أن بنية خطاطة الصورة image-schema sturucture الملازمة في مجال الوصول لا يمكن أن يتم انتهاكها، وأن بنية مجال الوصول الملازمة تحد الإمكانيات الخاصة بالترسيمات آليًا. إن هذا المبدأ العام يفسّر عددًا كبيرًا من التحديدات المبهمة من قبل عن الترسيمات الاستعارية. على سبيل المثال، إنه يفسّر لماذا يمكنك أن تعطي شخصًا ما ركلة، حتى إن كان ذلك الشخص لا يحتفظ بها فيما بعد، ولماذا يمكنك أن تعطي شخصًا ما معلومات حتى إن كنت لا تفقدها. فهذا نتاج كون أن بنية مجال الوصول الملازمة تحدُّ آلية ما يمكن أن يكون مرسُمًا. وعلى سبيل المثال، تأمّل ذلك الجزء، من معرفتك المتأصلة بالأفعال، الذي يقول بأن الأفعال لا تستمر في الوجود بعد

أن تقع. والآن تأمَّل استعارة الأفعال انتقالات Transfers are Actions، المُمَفْهَمَة فيها الأفعال بوصفها أشياء منقولة من فاعل an agent إلى متحمل a patient، كَأَنْ يعطي المرء شخصًا ما ركلة، أو لكمة.

إننا نعلم (كجزء من معرفة مجال الوصول) أن فعلاً ما لا يوجد بعد أن يقع. وفي مجال الانطلاق، حيث ثمة إعطاء، يمتلك المتلقي the recipient الشيء المُعْطَى بعد الإعطاء. لكن لا يمكن أن يتم ترسيم هذا على مجال الوصول بما أن البنية الملازمة لمجال الوصول تقول بأنه لا شيء من هذا القبيل يوجد بعد أن ينتهي الفعل. إن هيمنة مجال الوصول داخل مبدأ الثبات تفسِّر لماذا يمكنك أن تعطي شخصًا ما ركلة دون احتفاظه بها فيما بعد.

استدلالات مجرَّدة بوصفها استدلالات

استعارية فضائية

تتصف الاستدلالات الفضائية spatial inferences ببنية طوبولوجية لخطاطات الصورة. ولقد طالعنا حالات من قبيل الفئات التصنيفية أوعية والمقاييس الخطية طرق؛ حيث يتم الحفاظ على بنية خطاطة الصورة بواسطة الاستعارة، وحيث تكون الاستدلالات المجرَّدة حول الفئات التصنيفية والمقاييس الخطية نسخًا استعارية metaphorical versions للاستدلالات الفضائية حول الأوعية والطرق. ويفترض مبدأ الثبات دائمًا أن يتم الحفاظ على بنية خطاطة الصورة بواسطة الاستعارة.

كما يثير مبدأ الثبات إمكانية أن الكثرة الغالبة من الاستدلالات المجرَّدة، إن لم يكن جميعها، هي بالفعل نسخ استعارية لاستدلالات فضائية متأصلة Inherent في البنية الطوبولوجية لخطاطات الصورة. وسأتحول الآن إلى حالات أخرى من المفاهيم الأساسية - لكنها مجرَّدة - لأرى ما الدليل الذي يشهد على صحة الدعوى القائلة بِأَنَّ مثل هذه المفاهيم يتم تشخيصها بالأساس من خلال الاستعارة.

الزمن

لقد لوحظ كثيرًا أن الزمن في الإنجليزية مُمَفْهَم وفقًا للفضاء. وتبدو تفاصيل هذه المسألة مثيرة نوعًا ما. الأنطولوجيا: إن الزمن مفهوم بوصفه أشياء (كيانات ومواقع) وحركة.

شرط الخلفية: الزمن الحاضر يكون في الموقع نفسه الذي يكون فيه ملاحظ مرجعي a canonical observer.

الترسيم

- الزمن أشياء.
- مرور الزمن حركة.
- الأزمنة المستقبلية في مواجهة الملاحِظ، الأزمنة الماضية وراء الملاحِظ.

شيء واحد يتحرك، والآخر ثابت stationary، والكيان الثابت هو المركز الإحالي deictic center.

المقتضى:

بما أن الحركة مستمرة وأحادية الاتجاه، فإن مرور الزمن مستمر وأحادي الاتجاه.

حالة خاصة (١):

- الملاحظ ثابت fixed، في حين أن الأزمنة كيانات متحركة بالنسبة للملاحظ.
- الأزمنة موجَّهة oriented بواجهاتها in their fronts في اتجاهها للحركة.

مقتضيات

- إذا كان الزمن (٢) يلي الزمن (١)، إذًا فإن الزمن (٢) في المستقبل بالنسبة للزمن (١). الزمن المار على الملاحِظ هو الزمن الحاضر.
- للزمن سرعة بالنسبة للملاحظ.

حالة خاصة (٢):

- الأزمنة مواقع ثابتة fixed locations ، في حين أن الملاحِظ متحرك بالنسبة للزمن.

مقتضيات

للزمن مدى extension، ويمكن قياسه.

أي زمن ممتد an extended time مثله مثل منطقة فضائية a spatial area يمكن تصوره بوصفه إقليمًا ذا حدود a bounded region.

إن هذه الاستعارة مرور الزمن حركة Time Passing is Motion بحالتيها الخاصتين، تجسّد تعميمًا يفسّر مدى واسعًا من الحالات التي يمكن فيها لتعبير فضائي أن يكون مُستخدَمًا للزمن. الحالة الخاصة (١)، مرور الزمن هو حركة لموضوع ما تعلّل الصياغة اللغوية والمقتضيات الدلالية لتعبيرات، مثل:

- سيأتي الوقت حين... The time will come when...
- مضى وقت طويل منذ ذلك الحين... The time has long since gone When...
- لقد أتى وقت الفعل [لقد حان وقت الفعل]. The time for action has arrived.
- ذلك الزمن هنا. That time is here.
- في الأسابيع التالية للثلاثاء القادم... In the weeks following next Tuesday...
- في اليوم السابق. On the preceding day.
- إنني أتطلع قُدمًا إلى عيد الميلاد. I'm looking ahead to Christmas.
- عيد الشكر قادم علينا. Thanksgiving is coming upon us.
- دعونا نضع كل ذلك وراءنا [دعونا نُلقي كل ذلك وراء ظهورنا]. Let us put all that behind us.
- لا أستطيع أن أواجه المستقبل. I cannot face the future.
- الوقت يطير. Time is flying by.
- لقد مضى الزمن الذي كان فيه... The time has passed when...

وهكذا، فإن الحالة الخاصة (١) تشخّص المبدأ العام وراء الاستخدام الزمني لكلمات مثل يأتي، يذهب هنا، يتلو، يسبق، قُدمًا ahead، وراء، يطير، يمر، لتعلّل، ليس فقط السبب في أنها مستخدمة لكل من الفضاء space والزمن time، بل السبب في أنها تعني ما تعنيه.

أمّا الحالة الخاصة (٢)، الزمن حركة عبر مساحة طبيعية ما Time is Motion Over a Landscape، فتعلّل سلسلة مختلفة من الحالات، تعبيرات مثل:

- ثمة صعاب قادمة على الطريق. .There's going to be trouble down the road
- لقد بقي هناك لعشر سنوات. .He stayed there for ten years
- لقد بقي هناك لمدة طويلة. .He stayed there for a long time
- لقد امتد بقاؤه في روسيا إلى سنوات عديدة. .His stay in Russia extended over many years
- لقد أمضى الوقت سعيدًا. .He passed the time happily
- لقد وصل في الموعد. .He arrived on time
- إننا مقدمون على عيد الميلاد. .We are coming upon Christmas
- إننا نقترب من عيد الميلاد. .We are getting close to Christmas
- سيحصل على درجته خلال عامين. .He will have his degree within two years
- سأكون هناك في دقيقة. .I will be there in a minute

إن الحالة الخاصة (٢) ترسّم تعبيرات الموقع، مثل على الطريق down the road، لـ for + الموقع Location، طويل، فوق، يُقدم [قادم، مُقدِم] come، يقترب، خلال، في، يمضي - على تعبيرات زمنية مناظرة بمعانيها المناظرة. مرة أخرى، إن الحالة الخاصة (٢) تنص على مبدأ عام يربط كلمات فضائية ونماذج استدلال بكلمات زمنية ونماذج استدلال.

إن تفاصيل الحالتين الخاصتين مختلفة بعض الشيء، فهي حقًا غير متوافقة بعضها مع بعض. ووجود مثل هذه الحالات الخاصة له ناتج نظري مثير على وجه خاص: إن الكلمات المرسّمة من خلال كلتا الحالتين ستحظى بقراءات غير متوافقة. خذ، على سبيل المثال، قدوم عيد الميلاد؛ حيث هو قادم (حالة خاصة١)، ونحن مقدمون على عيد الميلاد (حالة خاصة٢). إن كلتا حالتي القدوم زمنية temporal، لكن واحدة تتخذ زمنًا متحركًا a moving time كحجة أولى first argument، في حين تتخذ الثانية ملاحظًا متحركًا كحجة أولى. وينطبق الشيء نفسه على«يمضي» في «مضى الوقت» time has passed (الحالة الخاصة ١)، وفي «أمضى الوقت» He passed the time (الحالة الخاصة ٢).

إن هذه الاختلافات في تفاصيل الترسيمات تظهر أن المرء لا يسعه فحسب أن يقول بابتهاج: إن التعبيرات الفضائية يمكن أن تكون مستخدمة لتتحدث عن الزمن، دون تحديد تفاصيل، كما لو كان هناك تناظر واحد فحسب بين الزمن والفضاء، بل إنه حين نكون واضحين في النص على الترسيمات نكتشف أن ثمة حالتين فرعيتين مختلفتين وغير متوافقتين.

إن مسألة أن الزمن مفهوم استعاري وفقًا للحركة والكيانات والمواقع تتفق مع معرفتنا البيولوجية؛ إذ إننا نملك في أجهزتنا البصرية وسائل لتتبع الحركة ووسائل لتتبع الموضوعات / المواقع، في حين أننا ليس لدينا وسائل لتتبع الزمن (بغض النظر عما يمكن أن يعنيه ذلك).

ومن ثمَّ، فإنه ليبدو أمرًا ذا مغزى بيولوجي لا بأس به أن يفترض في الزمن أن يفهم بناءً على الأشياء والحركة.

الثنائية

إن الحالتين الخاصتين (الموقع location والشيء object) لاستعارة مرور الزمن حركة ليستا مجرد سمة عارضة لفهمنا للزمن؛ إذ كما سنرى - لاحقًا - ثمة استعارات أخرى تدخل في مثل تلك الأزواج الخاصة بالموقع والشيء. وتدعى تلك الأزواج ثنائيات duals، وتتم الإشارة إلى الظاهرة العامة التي تدخل فيها الاستعارات في أزواج الموقع / الشيء بوصفها ثنائية duality.

ترسيمات متزامنة

من المهم أن نتذكر أن الترسيمات الاستعارية هي تناظرات ثابتة fixed correspondences يمكن أن يتم تفعيلها، وليست عمليات حسابية تأخذ مُدْخَلات وتعطي مُخْرَجات. وبناء عليه، فالأمر ليس كَوْنَ الجمل المحتوية على استعارات عُرفية هي محصلات لعملية تحويل زمن حقيقي من قراءات حرفية إلى أخرى استعارية.

فجملة مثل «لقد أتى وقت الفعل» لن تكون مفهومة من خلال المحاولة الأولى التي تعطي قراءة حرفية للفعل arrive يصل - يأتي، ونتاجًا للفشل؛ فإننا نحاول أن نعطيها قراءة زمنية a temporal reading. وفي المقابل، نجد أن استعارة مرور الزمن حركة هي بنية ثابتة لتناظرات قائمة بين مجالات الفضاء والزمن، وأن الفعل يصل - يأتي arrive يمتلك معنى عُرفيًا أوسع يفيد من البنية الثابتة للتناظر[٤].

وهكذا، فإنه من الممكن لجزأين مختلفين من جملة ما أن يفيدا في آن من ترسيمين استعاريين متمايزين في آن. ولنتأمَّل عبارة مثل «خلال الأسابيع القادمة» التي تفيد فيها «خلال» من استعارة الزمن بوصفه أرضًا طبيعية ثابتة ذات امتداد وأقاليم محددة، في حين يفيد الوصف «القادمة» من استعارة الأزمنة بوصفها موضوعات متحركة، ويكون هذا ممكنًا؛ لأن الاستعارتين الخاصتين بالزمن تنتقيان جوانب مختلفة من مجال الوصول. إذ تُفهم «الأسابيع القادمة» تلك الأسابيع بوصفها كلًا في حركة بالنسبة للملاحِظ. وتبدو «خلال» داخل ذلك الكل، لتُفهمه بوصفه إقليمًا محدَّدًا له داخل. وهكذا، فإن كل ترسيم مستخدَم جزئيًا. وبناء عليه، فعلى الرغم من أن الترسيمات - ككليات - غير متوافقة، فإن ثمة حالات يمكن فيها لأجزاء من الترسيمات أن تكون متراكبة معًا بشكل متوافق. إذ يتيح «مبدأ الثبات» لتلك الأجزاء من الترسيمات أن تُنتقى وتُستخدم لتشخص الاستدلال حول جوانب مختلفة من مجال الوصول.

إن الترسيمات المتزامنة simultaneous mappings شائعة جدًّا في الشعر. إليكَ، على سبيل المثال، بيت ديلان توماس «لا تمض رقيقًا في تلك الليلة الحسناء»، هنا يعكس الفعل «يمضي» أن «الموت رحيل» "Death is Departure"، كما تعكس «رقيقًا» أن «الحياة صراع» "Life is a Struggle"، مع الموت بوصفه الهزيمة. في حين تعكس «الليلة» أن «العمر نهار» "A Lifetime is a Day"، والموت هو الليل. إن هذا بيت واحد به ثلاث استعارات مختلفة للموت، كل منها مرسَّم على أجزاء مختلفة من الجملة. ويكون هذا ممكنًا بحكم أن الترسيمات تناظرات ثابتة.

إن ثمة درسًا مهمًّا ينبغي تعلمه من هذا المثال. إن الترسيمات في الرياضيات عبارة عن تناظرات ثابتة، ومن الشائع في علم الكمبيوتر أن تُمثَّل الترسيمات الرياضية بعمليات حسابية تحدث في الزمن الواقعي real time.

كما أن الباحثين في سيكولوجيا تشغيل المعلومات والعلم المعرفي غالبًا ما يمثّلون هم أيضًا الترسيمات بوصفها إجراءات حسابية ذات زمن واقعي real-time algorithmic procedures، ويفترض بعض الباحثين من هذه الحقول - خطأ - أن الترسيمات الاستعارية التي نناقشها يفترض أيضًا أن تكون ممثّلة بوصفها إجراءات حسابية متتالية ذات زمن واقعي؛ حيث يكون المُدخَل the input لكل استعارة هو معنى حرفي. إلا أن أية محاولة لفعل هذا ستفشل بسبب حالات الترسيم المتزامن التي ناقشناها منذ قليل.

بنية الحدث

والآن أريد أن أنتقل إلى بعض من أبحاثي وأبحاث طلابي (خصوصًا، شارون ميتشلر، وكارين مِيير، وجين اسبينسون) عن الفهم الاستعاري لبنية الحدث في الإنجليزية. وما وجدناه هو أن جوانب متنوعة من بنية الحدث، بما في ذلك تصورات مثل الأوضاع States، والتغيرات changes، والعمليات processes، والأفعال actions، والأسباب causes، والأغراض purposes، والوسائل means، مشخَّصة معرفيًا بواسطة الاستعارة وفقًا للفضاء space، والحركة motion، والقوة force.

ويمضي الترسيم العام الذي وجدناه على النحو التالي:

استعارة بنية الحدث

- الأوضاع مواقع (أقاليم محدَّدة في الفضاء).
- التغيرات حركات (داخل أو خارج أقاليم محدَّدة).
- الأسباب قوى.
- الأفعال حركات ذاتية الانطلاق.
- الأغراض وجهات (محطات) destinations.
- الوسائل طرق إلى الوجهات.
- الصعوبات عوائق للحركة.

- التقدم المتوقع هو جدول مواعيد للسفر، وجدول المواعيد هو مسافر فعليّ، من يبلغ وجهات محدّدة سلفًا في أزمنة محدّدة سلفًا.
- الأحداث الخارجية هي موضوعات كبيرة متحركة.
- النشاطات القصدية ذات المدى البعيد رحلات.

إن هذا الترسيم يتم تعميمه إلى أقصى حد على مدى واسع من التعبيرات الخاصة بجانب أو أكثر من جوانب بنية الحدث. على سبيل المثال، فلنأخذ الأوضاع والتغيرات. إننا نتحدث عن كوننا داخل in أو خارج out of وضع ما، عن الدخول إلى وضع ما أو الخروج منه going into or out of، عن دخوله أو مغادرته، عن الوصول إلى وضع أو الانطلاق منه.

إن هذه استعارة ثرية ومركّبة، وتتفاعل مكوناتها بطرائق مركّبة أيضًا. ولكي نأخذ فكرة عن كيفية عملها، دعونا نعاين الترسيم الفرعي «الصعوبات عوائق للحركة». في هذه الاستعارة، الفعل الهادف purposive action هو حركة ذاتية الانطلاق نحو وجهة ما. والصعوبة هي شيء ما يعوق الحركة نحو تلك الوجهة. وتأتي الصعوبات الاستعارية من هذا النوع في خمسة أنماط: حواجز، تضاريس الأرض، أعباء، قوى مضادة، نقص مصدر الطاقة. وهذه أمثلة لكل منها:

حواجز:

- لقد تجاوز طلاقه. .He got over his divorce
- إنه يحاول أن يتلافى [يتحايل على] اللوائح. .He is trying to get around the regulations
- لقد تجاوز المحاكمة. .He went through the trial
- لقد دخلنا في حائط. .We ran into a brick wall
- لقد وضعناه في ركن. .We have got him boxed in a corner

تضاريس الأرض:

- إنه بين صخر ووعر. .He is between a rock and a hard place
- لقد كان الطريق كله صاعدًا. .It has been uphill all the way

- لقد وَحِلْنا. .We have been bogged down
- لقد كنا نشق طريقنا عبر غابة من اللوائح.

We have been hacking our way through a jungle of regulations.

أعباء:

- إنه حقًا يحمل حملاً ثقيلاً. .He is carrying quite a load
- لقد ناء بالكثير من التكليفات. .He is weighed down by a lot of assignments
- لقد كان يحاول أن يحمل كل المسئولية على كتفيه.

He has been trying to shoulder all the responsibility.

- حِلَّ عن قفاي! !Get off my back

قوى مضادة:

- كُفَّ عن الضغط علي. .Quit pushing me around
- إنها تسحبه في كل مكان رغم أنفه. .She is leading him around by the nose
- إنها تجره إلى الوراء [تعوق تقدمه]. .She is holding him back

نقص مصدر الطاقة:

- لقد نفد وقودي [لقد أُنهكتُ]. .I am out of gas
- إننا نمضي بلا قوة دافعة. .We are running out of steam

ولكي ترى كم هي ثرية استعارة بنية الحدث، تأمَّل بعضًا من مقتضياتها الأساسية:

- أسلوب الفعل هو أسلوب الحركة.
- الوسيلة المختلفة لتحقيق غرض هي طريق مختلف.
- القوى المؤثرة في الفعل هي قوى مؤثرة في الحركة.
- عدم القدرة على الفعل هو عدم قدرة على الحركة.
- التقدم المتحقق هو مسافة مقطوعة أو مسافة من الهدف.

وسنعاين أمثلة على كل واحدة من هذه الاستعارات واحدة تلو الأخرى، بما في ذلك عدد من الحالات الخاصة.

المساعدات على الفعل مساعدات على الحركة Aids to action are aids to motion

- إنه إبحار منساب من هنا فصاعدًا. .It is smooth sailing from here on in
- إنه منحدر تمامًا من هنا. .It is all downhill from here
- ما من شيء في طريقنا. .There is nothing in our way

الوسيلة المختلفة لتحقيق نتيجة ما هي طريق مختلف

A different means of achieving a result is a different path

- افعلها بهذه الطريقة [على هذا النحو]. .Do it this way
- لقد فعلتها بالطريقة الأخرى. .She did it the other way
- افعلها بأية طريقة تستطيعها. .Do it any way you can
- مهما يكن ما تريد أن تمضي فيه فلا بأس به بالنسبة لي.

However you want to go about it is fine with me.

أسلوب الفعل هو أسلوب الحركة Manner of action is manner of motion

- إننا نتحرك / نعدو / نثب معًا. .We are moving/running/skipping right along
- لقد تعثرنا فيها. .We slogged through it
- إنه يتخبط. .He is floundering around
- إنه ينكبُّ على وجهه. .He is falling all over himself
- إننا نقفز فوق الحواجز. .We are leaping over hurdles
- إنه مضطرب الخُطَى. .He is out of step
- إنه منتظم الخُطَى. .He is in step

الفعل الحريص هو حركة حريصة Careful action is careful movement

- إنني أسير على قشر بيض. .I am walking on eggshells
- إنه يطأ سطحًا رقيقًا من الجليد. .He is treading on thin ice
- إنه يمشي على الحبل. .He is walking a fine line

سرعة الفعل هي سرعة الحركة Speed of action is speed of movement

- لقد طار محلقًا في عمله [أي أنه يؤدّي عمله بسهولة وينجزه بسرعة]. .He flew through his work
- إنه يدور هنا وهناك. .He is running around
- إنه يمضي سابحًا [أي أنه يمضي بانسياب]. .He is going swimmingly
- اجعل الأشياء تتحرك بإيقاع سريع. .Keep things moving at a good clip
- لقد تباطأت الأمور إلى حد الزحف. .Things have slowed to a crawl
- إنها تمضي بقفزات ووثبات [أي أنها تحقّق طفرات]. .She is going by leaps and bounds
- إنني أتحرك بسرعة الحلزون [بسرعة السلحفاة]. .I am moving at a snail's pace

الفعل الهادف حركة منطلقة ذاتيًا نحو وجهة ما.

Purposeful action is self-propelled motion to a destination.

وله الحالات الخاصة التالية:

إحراز تقدم هو حركة إلى الأمام Making progress is forward movement

- إننا نمضي قُدمًا. .We are moving ahead
- دعونا نتقدم بثبات. .Let us forge ahead
- دعونا نواصل التقدم إلى الأمام. .Let us keep moving forward
- لقد حقّقنا الكثير من التقدم إلى الأمام. .We made lots of forward movement
- مقدار التقدم هو المسافة المقطوعة. .Amount of progress is distance moved

- لقد مضينا [قطعنا] شوطًا طويلاً. .We have come a long way
- لقد غطّينا الكثير من الأرض [أي لقد أنجزنا الكثير أو قطعنا أشواطًا كبيرة].
We have covered lots of ground.
- لقد بلغنا هذا الحد.[أي لقد نجحنا حتى الآن]. .We made it this far

عدم إحراز تقدم هو حركة للخلف Undoing progress is backward movement

- إننا ننزلق للخلف. .We are sliding backward
- إننا ننزلق للوراء. .We are backsliding
- إننا نحتاج أن نرتد على أعقابنا. .We need to backtrack
- حان الوقت لأن نلتفت ونتعقب خطانا. .It is time to turn around and retrace our steps

التقدم المتوقع هو جدول مواعيد للسفر، جدول المواعيد هو مسافر فعلي، يبلغ وجهات محدَّدة سلفًا في أزمنة محدَّدة سلفًا Expected progress is a travel schedule, a schedule is a virtual traveler, who reaches prearranged destinations at prearranged times

- إننا متخلفون في المشروع عن الجدول الزمني المحدَّد. .We are behind schedule on the project
- لقد حققنا بداية متقدمة في المشروع [أي لقد بدأنا في المشروع قبل الموعد المقرَّر].
We got a head start on the project.
- إنني أحاول أن ألحق [أي أحاول أن أعوّض ما فاتني]. .I am trying to catch up
- أخيرًا حقّقت قليلاً من التقدم. .I finally got a little ahead

ابتداءُ فعل هو ابتداء في مسار [طريق] Starting an action, is starting out on a path

- إننا نشرع للتو في الانطلاق. .We are just starting out
- إننا اتخذنا الخطوة الأولى. .We have taken the first step

النجاح هو بلوغ نهاية المسار [الطريق] Success is reaching the end of the path

- لقد بلغنا النهاية. .We have reached the end
- إننا نرى الضوء في نهاية النفق. .We are seeing the light at the end of the tunnel
- ليس أمامنا إلا طريق قصير لنقطعه. .We only have a short way to go
- النهاية على مرمى البصر [أي النهاية وشيكة أو منظورة]. .The end is in sight
- النهاية ما زالت بعيدة المنال. .The end is a long way off

غيابُ الهدف غيابٌ للاتجاه Lack of purpose is lack of direction

- إنه فحسب يطفو هنا وهناك [أي تتقاذفه الأمواج]. .He is just floating around
- إنه يندفع مع التيار بلا هدف. .He is drifting aimlessly
- إنه يحتاج توجيهًا ما. .He needs some direction

انعدام التقدم انعدامٌ للحركة Lack of progress is lack of movement

- إننا في ركود تام. .We are at a standstill
- إننا لا نخطو أي خطوة. .We are not getting any place
- إننا لن نمضي إلى أي وجهة. .We are not going anywhere
- إننا لن نمضي إلى أي وجهة على هذا النحو. .We are going nowhere with this

الأحداث الخارجية أشياء ضخمة متحركة External events are large moving objects

حالة خاصة (١): أشياء

- كيف تمضي الأشياء [الأمور]؟ ?How are things going
- الأشياء [الأمور] تسير على ما يرام معي. .Things are going fine with me
- الأشياء [الأمور] تسير ضدي هذه الأيام. .Things are going against me these days

- الأشياء [الأمور] انقلبت إلى الأسوأ. .Things took a turn for the worse
- الأشياء [الأمور] تسير على هواي. .Things are going my way

حالة خاصة (٢): سوائل Fluids

- إنك تنوي أن تمضي مع التيار. .You gotta go with the flow
- إنني أحاول فقط أن أحافظ على رأسي أعلى الماء[أي إنني أحاول فقط أن أنجو من الغرق].

I am just trying to keep my head above water.

- مد وجزر الأحداث.. ..The tide of events
- رياح التغيير.. ..The winds of change
- تيار التاريخ. .The flow of history
- إنني أحاول أن أحدّد اتجاهاتي. .I am trying to get my bearings
- إنه في قلب البحيرة بلا مجداف. .He is up a creek without a paddle
- إننا جميعًا في مركب واحد. .We are all in the same boat

حالة خاصة (٣): خَيل

- حاول أن تحكم زمام الموقف. .Try to keep a tight rein on the situation
- أحكِم القبضة على الموقف. .Keep a grip on the situation
- لا تدع الأشياء (الأمور) تفلت من يدك. .Do not let things get out of hand
- ولا الخيول الجامحة بوسعها أن تجعلني أمضي. .Wild horses couldn't make me go
- «ياااه» "Whoa!" (تقال حين تبدأ الأمور تنفلت من اليد).

إن مثل هذه الأمثلة توفّر دعمًا إمبريقيًّا دامغًا على وجود استعارة بنية الحدث. ويُظهر وجود تلك الاستعارة أن أكثر المفاهيم المجرّدة شيوعًا - الزمن، والوضع، والتغير، والسبب، والفعل، والغرض، والوسيلة - تُفْهَمَة بواسطة الاستعارة. وحيث إن هذه المفاهيم في القلب تمامًا من أنظمتنا التصورية، فإن حقيقة أنها تُفْهَمَة استعاريًّا تظهر أن الاستعارة مركزية بالنسبة للفكر الاعتيادي المجرّد.

تَرَاتُبيَّات الميراث

لا تقع الترسيمات الاستعارية معزولة بعضها عن بعض. فهي أحيانًا تكون منظَّمة في بنًى تراتُبية، تَرِثُ فيها ترسيمات أدنى lower mappings في التراتبية بِنَى الترسيمات «الأعلى». ودعونا نتأمَّل مثالاً للتراتب ذي المستويات الثلاثة:

مستوى (١): استعارة بنية الحدث.

مستوى (٢): الحياة الهادفة رحلة.

مستوى (٣): الحب رحلة، المسار المهني رحلة.

ولتنعش ذاكرتك، تذكَّر:

استعارة بنية الحدث

- مجال الوصول - أحداث مجال الانطلاق - فضاء الأوضاع مواقع (أقاليم محدَّدة في الفضاء).
- التغيرات حركات (داخل أو خارج أقاليم محدَّدة).
- الأسباب قوى.
- الأفعال حركات ذاتية الانطلاق.
- الأغراض جهات وصول (محطات) destinations.
- الوسائل طرق لجهات الوصول (المحطات).
- المصاعب عوائق للحركة.
- التقدم المتوقع لائحة لمواعيد السفر، لائحة المواعيد مسافر فعلي، يبلغ جهات وصول محدَّدة سلفًا في أوقات محدَّدة سلفًا.
- الأحداث الخارجية أشياء ضخمة متحركة.
- النشاطات الهادفة البعيدة المدى رحلات.

من المفترض، في ثقافتنا، أن تكون الحياة هادفة، أي أنه متوقع منا أن تكون لنا أهداف في الحياة. وفي استعارة بنية الحدث الأهداف جهات وصول (محطات).

والفعل الهادف هو حركة ذاتية الاندفاع self-propelled motion نحو جهة الوصول (المحطة). إن الحياة الهادفة نشاط هادف بعيد المدى، ومن ثم فإنها رحلة. وهكذا، فإن الأهداف في الحياة هي جهات وصول (محطات) في الرحلة. والأفعال التي يقوم بها المرء في الحياة هي حركات ذاتية الاندفاع، ومجمل أفعال المرء تشكّل الطريق الذي يسير فيه المرء. كما أن اختيار وسيلة لتحقيق هدف ما هو اختيار طريق لجهة الوصول (للمحطة). والمصاعب التي تواجه الإنسان في الحياة هي عوائق للحركة. والأحداث الخارجية هي أشياء كبيرة متحركة يمكن أن تعوق الحركة إزاء أهداف الحياة الخاصة بالإنسان. ووفقًا لذلك، فإن التقدم المتوقع للمرء عبر الحياة مرسوم وفقًا لجدول زمني schedule لحياته، وهو «أي: التقدم المتوقع» مُفْهَم على أنه مسافر فعلي متوقع من المرء أن يواكبه.

باختصار، إن استعارة الحياة الهادفة رحلة تفيد من كلّ البنية الخاصة باستعارة بنية الحدث، وبما أن أحداث الحياة مُفْهَمَة بوصفها هادفة، فإنها حالات فرعية من الأحداث بعامة.

الحياة الهادفة رحلة

- مجال الوصول: الحياة .
- مجال الانطلاق: الفضاء
- الشخص الموجّه للحياة مسافر.
- وهي استعارة ترث استعارة بنية الحدث، مع:
- الأحداث = أحداث الحياة المهمة.
- الأغراض purposes = أهداف الحياة life goals

ولهذا لدينا تعبيرات مثل:

- انخرط مبكرًا في الحياة. .He got a head start in life
- إنه بلا وجهة في حياته. .e is without direction in his life
- إنني حيث أريد أن أكون في الحياة. .I am where I want to be in life
- إنني في مفترق طرق في حياتي. .I am at a crossroads in my life

- إنه سيذهب مذاهب شتى في الحياة. .He'll go places in life
- إنه لا يدع أحدًا أبدًا يعترض طريقه. .He's never let anyone get in his way
- لقد خاض الكثير في الحياة [أي لقد مرَّ بالكثير في حياته]. .He's gone through a lot in life

وتمامًا مثلما أن أحداث الحياة المهمة هي حالات خاصة من الأحداث، كذلك فإن الأحداث في علاقة حب هي حالات خاصة من أحداث الحياة. وهكذا، فإن استعارة الحب رحلة ترث بنية استعارة الحياة رحلة. وما هو مميِّز بالنسبة لاستعارة الحب رحلة هو أن ثمة حبيبين مسافران، وأن علاقة الحب مركبة. أمَّا بقية الترسيم فهو نتاج إرث استعارة الحياة رحلة. ولأن الحبيبين في المركبة نفسها، فإن لهما جهات وصول (محطات) مشتركة، أي أهداف حياة مشتركة.

وصعوبات العلاقة هي عقبات سفر.

الحب رحلة

- مجال الوصول: الحب مجال الانطلاق: الفضاء
- الحبيبان مسافران.
- علاقة الحب مركبة.

وهي ترث استعارة الحياة رحلة.

وبحكم أن المسار المهني هو جانب من جوانب الحياة، فإنه يمكن أن يفهم بوصفه رحلة. وهنا؛ لأن المكانة مرتفعة Status is Up، فإن المسار المهني رحلة إلى أعلى.

إن أهداف المسار المهني هي حالات خاصة من أهداف الحياة.

المسار المهني رحلة A Career is a Journey

- مجال الوصول: المسار المهني مجال الانطلاق: الفضاء
- صاحب المسار المهني: مسافر
- المكانة: مرتفعة

وهي ترث استعارة الحياة رحلة، وأهداف الحياة = أهداف المسار المهني. والمثالي هو: أن تمضي إلى أعلى وأبعد ما يمكن بأسرع ما يمكن.

والأمثلة تتضمن:

- لقد شقَّ طريقه إلى القمة. .He clawed his way to the top
- إنه في الأعالي. .He's over the hill
- إنها على الطريق السريع. .She's on the fast track
- إنها تترقى سريعًا في الرُّتب. .She's moving up in the ranks quickly

إن تَرَاتُبِيَّة الميراث هذه تفسِّر سلسلة من التعميمات.

أولاً، ثمة تعميمات حول الوحدات المعجمية. ومثال ذلك تعبير «مفترق طرق». إن معناه المركزي يقع في مجال الفضاء، لكنه يمكن أن يستخدم بمعنى استعاري لتتحدث عن أي نشاط موسَّع extended activity، عن حياة الإنسان، أو عن علاقة حب، أو عن مسار مهني.

- إنني في مفترق طرق في هذا المشروع. .I am at a crossroads in this project
- إنني في مفترق طرق في حياتي. .I am at a crossroads in life
- إننا في مفترق طرق في علاقتنا. .We are at a crossroads in our relationship
- إنني في مفترق طرق في مساري المهني. .I am at a crossroads in my career

إن هذه التراتبية تتيح للمرء أن يعلن مبدأ عامًّا، وهو أن مفترق الطرق موسَّع معجميًّا بواسطة الاستعارة الفرعية the submetaphor لاستعارة بنية الحدث القائلة بأَنَّ «النشاطات الهادفة البعيدة المدى هي رحلات». وكل استخداماتها الأخرى مولَّدة آليًّا بواسطة تراتبية الميراث. ولذا، لا توجد حاجة إلى أن تكون هناك معانٍ منفصلة لكل مستوى من مستويات التراتبية.

أمَّا التعميم الثاني فهو ذو طابع استدلالي. ولذا، فإن فهم المصاعب بوصفها عقبات في السفر لا يقع فقط في الأحداث بشكل عام، وإنما أيضًا في حياة هادفة، وفي علاقة حب، وفي مسار مهني. إن تراتبية الميراث تضمن أن هذا الفهم للصعوبات في الحياة والحب والمسارات المهنية هو نتاج لمثل هذا الفهم للصعوبات في الأحداث بشكل عام.

كما أن التراتبية تتيح لنا أيضًا أن نميز الوحدات المعجمية التي تكون معانيها أكثر تقييدًا more restricted: لذا، فإن (صعود السلم) يشير فقط إلى المسارات المهنية، وليس إلى علاقات الحب أو الحياة بشكل عام.

إن مثل هذا التنظيم التراتبي يعد سمة بارزة جدًا لنسق الاستعارة الخاص باللغة الإنجليزية وبلغات أخرى. لقد وجدنا حتى الآن أن الاستعارات الأعلى في التراتبية تميل إلى أن تكون أكثر انتشارًا من تلك الترسيمات التي في مستويات أدنى. ولذا، فإن استعارة بنية الحدث واسعة الانتشار للغاية (ويمكن حتى أن تكون عالمية)، في حين أن الاستعارات الخاصة بالحياة والحب والمسارات المهنية تكون مقيَّدة ثقافيًا بقدر أكبر بكثير.

الثنائية في نسق بنية الحدث

لقد لاحظنا في نقاشنا لاستعارات الزمن وجودَ ثنائية الموضوع (الشيء) / الموقع. وكانت هناك استعارتان للزمن مرتبطتان ببعضهما. وقد كان مرور الزمن في الاثنين مفهومًا بناءً على حركة نسبية relative motion بين ملاحِظ وزمن ما. وعلى مستوى ثنائية الموضوع يكون الملاحظ ثابتًا fixed والأزمنة موضوعات (أشياء) متحركة. أمَّا على مستوى ثنائية الموقع فإن العكس هو الصحيح. إذ يتحرك الملاحِظ وتكون الأزمنة مواقع ثابتة في مساحة طبيعية ما.

إن نسق بنية الحدث الذي عايناه حتى الآن مؤسَّس كلية على الموقع، إلا أن ثمة نسق بنية حدث آخر، وهو ثنائي النسق الذي ناقشناه للتو - نسق مؤسَّس على أشياء، وليس على مواقع. وفي كلا النسقين نجد أن التغير حركة والأسباب قوى تحكم الحركة.

ويتمثل الاختلاف في الآتي:

في نسق الموقع، التغير هو حركة الشيء المتغير إلى موقع جديد أو من موقع قديم. في نسق الموضوع (الشيء)، الشيء المتغير لا يتحرك بالضرورة. بل إن التغير بدلاً من ذلك هو حركة لموضوع نحو الشيء المتغير أو بعيدًا عنه.

إضافة إلى ذلك، إن الموضوع المتحرك مُفْهَم بوصفه ملكية as possession والشيء المتغير بوصفه مالكًا possessor. ومن ثم فالتغير مرئي بوصفه إحرازًا أو فقدًا لموضوع (لشيء) ما. كما يرى السببية causation بوصفه إعطاء giving أو أخذًا taking. وها هي بعض الأمثلة:

- عندي صداع. (الصداع ملكية) I have a headache. (The headache is a possession)
- أصبت صداعًا [٥] (التغير إحراز – حركة إلى)
I got a headache. (change is acquisition-motion to).
- صداعي ذهب. (التغير فقد – حركة من)
My headache went away. (change is loss-motion from).
- الضوضاء جلبت لي الصداع. (السببية جلب – حركة إلى)
The noise gave me a headache (causation is giving-motion to)
- الأسبرين أذهب [ضيَّع] صداعي. (السببية إذهاب – حركة من)
The aspirin took away my headache (causation is taking-motion from)

ونستطيع أن نرى الثنائية بشكل أوضح بعض الشيء مع كلمة مثل مشكلة trouble:

- إنني في مشكلة. (المُشكلة موقعة) I am in trouble. (Trouble is a location)
- لدي مشكلة. (المشكلة موضوع يمتلك)
I have trouble. (Trouble is an object that is possessed)

في كلتا الحالين تكون المشكلة مسندة إليَّ، وفي كلتا الحالين تكون المشكلة مُفْهَمةً استعاريًا بوصفها كائنًا في الموضع نفسه الذي أنا فيه (الاشتراك في الموقع) (co-location) – في إحدى الحالتين؛ لأنني أمتلك موضوع المشكلة، وفي الأخرى؛ لأنني في موقع المشكلة. أي أن الإسناد في كلتا الحالين مفهم استعاريًا بوصفه اشتراكًا في الموقع. ففي «إنني في مشكلة» المشكلة وضع a state – وضع هو وصف an attribute مفهم بوصفه موقعًا. والأوصاف attributes أو الخواص or properties مثلها مثل الأوضاع، عدا أنها مفهمة بوصفها موضوعات يمكن امتلاكها Possessible objects.

ومن ثمَّ ، فإن الأوضاع مواقع والأوصاف ملكيات هما ثنائيان duals؛ نظرًا لأن الملكية والموقع هما حالتان خاصتان من الشيء نفسه - الاشتراك في الموقع -، ونظرًا لأن الأوضاع والأوصاف هما أيضًا حالتان خاصتان من الشيء نفسه - الذي يمكن أن يتم إسناده إلى شخص ما. في ظل هذا يمكننا أن نرى أن ثمة نسخة شيئية an object version من استعارة بنية الحدث:

- الأوصاف ملكيات. .Attributes are possessions
- التغيرات حركات (للملكيات، أي مكتسبات أو خسائر)
Changes are movements (of possessions, namely, acquisitions or losses)
- الأسباب قوى (حاكمة لحركة الملكيات، أي إعطاء أو تجريد من) Causes are forces (Controlling the movement of possessions, namely, giving or taking away)

وهذه هي ثنائيات:

- الأوضاع مواقع. .States are locations
- التغيرات حركات. (إلى مواقع أو منها) Changes are movements (to or from locations)
- الأسباب قوى. (حاكمة للحركة إلى مواقع أو منها)
Causes are forces (controlling movement to or from locations)

وبالمثل، فإن الأفعال حركات ذاتية الانطلاق (إلى مواقع أو منها) تملك لثنائيتها الشيئية استعارة الأفعال مكاسب أو خسائر محكومة ذاتيًا.

ومن ثمَّ، فهناك سبب لتفسير لماذا يستطيع المرء أن «يأخذ» أفعالاً معينة - يستطيع المرء أن يأخذ حمَّامًا، أو أن يأخذ في إطلاق النار على شخص ما، أو أن يأخذ فرصة.

كما يحظى أيضًا الترسيم الفرعي «الأهداف جهات وصول» بثنائية أخرى. وهي جهات الوصول مواقع مرغوبة. وهكذا يمكن إعادة صياغة الترسيم الفرعي على هذا النحو الأغراض مواقع مرغوبة وتحقيق غرض هو بلوغ موقع مرغوب. وباستبدال «الشيء» بـ «الموقع» نحصل على ثنائية الأغراض (الأهداف) أشياء مرغوبة، وتحقيق غرض (هدف) هو إحراز شيء مرغوب (أو تخلص المرء من شيء غير مرغوب فيه).

وها هي بعض الأمثلة:

تحقيق غرض هو إحراز شيء مرغوب.

- لقد سلّموه الوظيفة للتوّ. .They just handed him the job
- إنه في قبضتي [أي أستطيع أن أدركه]. .It is within my grasp
- لقد تملّص مني. .It eluded
- امضِ نحوه [اسعَ إليه]. .Go for it
- لقد هرب مني [لقد فاتني]. .It escaped me
- لقد تسرّب [تملّص] من بين يدي. .It slipped through my hands
- إنه يتتبع هدفًا. .He is pursuing a goal
- احصل على / انتزع كل لذة يمكن أن تحصل عليها. .Reach for / Grab all the gusto you can get
- تمسّك بوظيفة جيدة. .Latch onto a good job
- اقبض على الفرصة [انتهز الفرصة]. .Seize the opportunity
- لقد وجد نجاحًا. .He found success

ثمة أيضًا بنية تراتبية في النسخة الشيئية لاستعارة بنية الحدث. وإحدى الحالات الخاصة من حالات الحصول على شيء هي الحصول على شيء لتأكله. ومن ثم نجد:

تحقيق غرض بمنزلة الحصول على شيء ما لتأكله.

- استساغ النصر [تذوّق حلاوة النصر]. .He savored the victory
- لقد ابتُلِعَتْ [التُهِمَتْ] كل الوظائف الجيدة. .All the good jobs have been gobbled up
- إنه جائع للنجاح [إنه متعطش للنجاح]. .He is hungry for success
- الفرصة تُسيل لعابي. .The opportunity has me drooling
- هذه فرصة يسيل لها اللعاب. .This is a mouth-watering opportunity

إن الأساليب التقليدية للحصول على أشياء تؤكل هي صيد الحيوانات وصيد الأسماك والزراعة. ولذا، فإن كل حالة خاصة من هذه الحالات يمكن أن تستخدم استعاريًا لمفهمة تحقيق (أو محاولة تحقيق) غرض ما.

محاولة تحقيق غرض هي محاولة للصيد.

- إنني أتصيَّد وظيفة. .I am hunting for a job
- لقد اقتنصتُ ترقية. .I bagged a promotion
- الراية [العَلَم] في الحقيبة. .The pennant in the bag

والطريقة النمطية للصيد هي أن تستخدم مقذوفات (رصاصًا، سهامًا..إلخ).

- إنني مُصوِّب [مُنشِّن] على ترقية. .I am shooting for a promotion
- إنني أصوِّب على أن يكون مساري المهني في السينما. .I am aiming for a career in the movies
- أخشى أنني أضعتُ الفرصة. .I am afraid I missed the chance

محاولة تحقيق غرض هي اصطياد سمك.

- إنه يتصيد الإطراءات. .He is fishing for compliments
- لقد رست عليَّ الترقية. .I landed a promotion
- لقد أحكمتْ الشباك على وظيفة جيدة. .She netted a good job
- لقد أمسكتُ خيطًا [من المعلومات] عن سيارة مستعملة جيدة.
  I've got a line out on a good used car.
- إنه وقت الصيد أو إعداد الطُّعْم. .It is time to fish or cut bait

لن أحاول أن أغطّي كل الثنائيات في نسق الاستعارة في الإنجليزية، إلا أنه يجدر ذكر بعضها لنرى إلى أي مدى هي ثنائيات رهيفة subtle ومقنعة persuasive. إليك - على سبيل المثال - استعارة الحياة رحلة التي تكون فيها أهداف الحياة جهات وصول (محطات)، أي مواقع مرغوب أن يتم الوصول إليها. وبما أن ثنائي الأغراض جهات وصول هو الأغراض موضوعات مرغوبة، فإن ثنائي الحياة رحلة هو استعارة الحياة فيها عبارة عن نشاط يحرز الإنسان خلاله موضوعات مرغوبة.

وفي هذه الثقافة يعد النشاط الرئيسي من هذا النوع هو الشغل العمل business، ومن ثم فإن الحياة شغل عمل Life is Business هي ثنائي الحياة رحلة.

الحياة الهادفة شغل.

- لديه حياة غنية. .He has a rich life
- إنها خبرة ثرية. .It is an enriching experience
- أريد أن أحصل على مزيد من الحياة. .I want to get a lot out of life
- إنه يباشر مشاغل [شئون] الحياة اليومية. .He is going about the business of everyday life
- لقد حان الوقت لأخذ نصيبي من الحياة. .It is time to take stock of my life

لنتذكر أن الحب رحلة هي توسيع لـ الحياة الهادفة رحلة. ويتصادف أن الحب رحلة لها ثنائي هو توسيع لثنائي الحياة الهادفة رحلة الذي هو الحياة الهادفة شغل.

إن ثنائي الحب رحلة يعني أن الحب مشاركة، أي شغل مشروع شخصين two-person business. ولذا، فإننا نتحدث عن المحبين بوصفهما شريكين partners؛ إذ ثمة عقود زواج، وفي علاقة الحب الطويلة الأمد يتوقع من الشريكين أن يؤديا وظائفهما، وأن يتقاسما كلًا من المسئوليات (ما يساهمان به في العلاقة) والأرباح (ما يحصلان عليه من العلاقة). إن علاقة الحب الطويلة الأمد تخضع للظروف نفسها التي يخضع لها الشغل «مشروع» حين يكون ما يحصلان عليه من العلاقة غير مساوٍ لما يضعان فيها.

إن الثنائية ظاهرة حديثة الاكتشاف. وكانت جين أوستن هي أول شخص يكتشفها في نسق بنية الحدث - وهي طالبة دراسات عليا في جامعة بيركلي - وكانت أول من صادفها أثناء بحثها عن استعارات السببية. ومنذ اكتشاف أسبنسون تم العثور على ثنائيات أخرى واسعة النطاق في نسق الاستعارة في الإنجليزية.

إلا أنه، مع ذلك، من غير المعروف في الوقت الراهن إلى أي مدى توجد ثنائيات واسعة النطاق في الإنجليزية، أو حتى إذا ما كانت كلها من نمط الموقع / الموضوع (الشيء).

وأتوقف عند هذا الحد عن مناقشة نسق الاستعارة الخاص بالإنجليزية، هذا على الرغم من أن مئات من الترسيمات الأخرى قد تم وصفها حتى يومنا هذا. إن القضية الأساسية التي ينبغي أن نستخلصها من هذا النقاش هي أن الاستعارة تقطن في أغلبها في هذا النسق الثابت المهول المبني بإحكام عالٍ، وهو نسق يمكن وصفه بأي شيء عدا أنه ميت dead. ولأنه عُرفي conventional، فإنه مستخدم باستمرار وبصورة آلية بلا جهد وبدون وعي. إن الاستعارة الجديدة تستخدم هذا النسق، وتبني عليه، ونادرًا فقط ما تقع بشكل مستقل عنه. ومن المثير جدًا أن نسق الاستعارة هذا كما يبدو يحدث الاستدلال المجرد الذي يبدو أنه قائم على استدلال فضائي.

الثبات مرة أخرى

إن الاستعارات التي ناقشتها ترسّم بشكل أساسي ثلاثة أنواع من مخططات الصورة image-schemas:أوعية containers وطرق paths وصور قوة force-images. وبسبب تعقيد الحالات الفرعية والتفاعلات، فإن أقل ما يقال عن التفاصيل إنها شائكة. ومع ذلك، فإن مبدأ الثبات يصوغ دعاوى في كل حالة بخصوص ما تجعله مخططات الصورة مرسمًا في مجالات الوصول. ولن أخوض في معظم التفاصيل هنا، لكن بقدر ما أستطيع أن أرى، فإن الدعاوى المطروحة حول البنية الاستدلالية تعد دعاوى معقولة. على سبيل المثال، فإن منطق ديناميات القوة على ما يبدو يرسّم بواسطة الترسيم الفرعي the submapping الأسباب قوى على منطق السببية. والأمثلة التالية هي استدلالات من منطق القوى متأصلة في ديناميات القوة: إن أي موضوع [شيء] ثابت سيتحرك فقط حين تمارس عليه

قوة ما، ودون قوة لن يتحرك، واستخدام القوة يتطلب تماسًا contact، فمستخدم القوة يجب أن يكون في مجاورة فضائية spatial contiguity مع الشيء الذي يحركه.

إن استخدام القوة يسبق زمنيًا الحركة؛ حيث إنه يجب التغلب على القصور الذاتي inertia قبل أن يمكن للحركة أن تحدث.

إن هذه الشروط من بين الشروط الاستدلالية الكلاسيكية عن السببية: المجاورة الفضائية، والأسبقية الزمنية، وأن (أ) تُسبِّب (ب) فقط إذا كانت (ب) لن تحدث بدون (أ).

وبهذا الصدد، فإنني أود أن أطرح السؤال حول ماذا سيجلبه لنا أيضًا مبدأ الثبات. وسأتناول حالتين أثيرتا بينما كنا ــ أنا ومارك تيرنر ــ نكتب «أكثر من العقل الهادئ».

وتتعلق الحالة الأولى باستعارات الصور image-metaphors، والثانية باستعارات المستوى العادي generic-level metaphors. لكن قبل أن أتطرق إلى هذين الموضوعين ينبغي أن أذكر نتيجة مهمة لمبدأ الثبات.

لقد جادلنا أنا وجونسون في «الاستعارات التي نحيا بها» بأن البنية القضوية المركَّبة يمكن أن تكون مرسَّمة بواسطة الاستعارة في مجال آخر.

وقد كان المثال الأساسي الذي أعطيناه هو الجدل حرب. كما جادلنا أنا وكوفيكسيز أيضًا في تحليلنا لاستعارات الغضب. (Lakoff, 1987, case study 1; Kovecses, 1990) بأن الاستعارات يمكنها أن ترسِّم بِنَى قضوية مركَّبة. ومبدأ الثبات لا يدحض هذا، بل يضع تلك الدعاوى في ضوء مختلف جدًا. إن البنى القضوية المركَّبة تشتمل على تصورات مثل الزمن والأوضاع والتغيرات والأسباب والأغراض ومقاييس الكم والفئات التصنيفية. فإذا كانت كل هذه المفاهيم المجرَّدة مشخَّصة استعاريًا، فإن مبدأ الثبات يؤكِّد أن ما دعوناه بنية قضوية هو في الواقع بنية صورة خطاطية. بعبارة أخرى: إن الاستدلالات المسمَّاة قضوية تنشأ من بنية طوبولوجية متأصِّلة لمخططات الصورة المرسَّمة بالاستعارة على مفاهيم، مثل الزمن: والأوضاع، والتغيرات والأفعال، والأسباب، والأغراض، والوسائل، والكم، والفئات التصنيفية.

لقد تجشمت عناء أن أُناقش هذه المفاهيم المجرَّدة؛ لأوضح هذه النتيجة الخاصة بمبدأ الثبات: إن ما تمت رؤيته في الماضي بوصفه استدلالات قضوية هو في الواقع استدلالات مؤسَّسة على الصورة. وإذا كان مبدأ الثبات صحيحًا فإن له نتيجة لافتة، وهي أن:

الاستدلال المجرَّد هو حالة خاصة من الاستدلال المؤسَّس على الصورة.

إن الاستدلال المؤسَّس على الصورة أساسي، والاستدلال المجرَّد هو استدلال مؤسَّس على الصورة في ظل إسقاطات استعارية metaphorical projections على المجالات المجرَّدة.

ولنبحث عن تأكيد مستقل لمبدأ الثبات، دعونا نتحول إلى استعارات الصورة.

الاستعارات الجديدة

استعارات الصورة

ثمة أنواع من الاستعارات التي تعمل لترسّم صورة ذهنية عُرفية conventional mental image على أخرى. وتتباين هذه الاستعارات مع الاستعارات التي ناقشتها حتى الآن، إذ يرسّم كل منها مجالاً تصوريًا ما على آخر، غالبًا بمفاهيم عديدة مرسّمة في مجال الانطلاق على مفاهيم عديدة مناظرة في مجال الوصول. أمّا استعارات الصورة فهي - في المقابل - استعارات أحادية الانطلاق one-shot metaphors؛ إذ ترسّم صورة واحدة فقط على صورة أخرى.

ولنتأمّل، على سبيل المثال، هذه القصيدة من التراث الهندي:

ها هي الآن الأنهار النسائية
محزومة الخصور بالأسماك الفضية
تتدافع مَهْلَى؛ كنساء في لحظة حب
في الفجر بعد ليلة مع عشاقهن
(ميروين وماسون، ١٩٨١، ص ٧٠).

Now women-rivers
belted with silver fish
move unhurried as women in love
at dawn after a night with their lovers
(Merwin & Masson, 1981, p. 71)

هنا نجد صورة السير الشهواني البطيء لامرأة هندية مرسّمة على صورة تيار بطيء شهواني ملتمع لنهر. والتماع سرب الأسماك متخيَّل كالتماع حزام. إن ترسيمات الصورة الاستعارية تعمل بالطريقة نفسها التي تعمل بها كل الترسيمات الاستعارية الأخرى: بواسطة ترسيم بنية مجال ما على بنية مجال آخر. إلا أن المجالات - هنا - صور ذهنية عُرفية.

إليك - على سبيل المثال - هذا السطر من أندريه بريتون:

- زوجتي... خصرها مزولة رملية. .My wife... whose waist is an hour glass

إن هذه مراكبة a superimposition لصورة مزولة رملية على صورة خصر امرأة بسبب الشكل المشترك.

وكما ذكرنا من قبل، فإن الاستعارة تصورية، إنها ليست في الكلمات نفسها، وإنما في الصور الذهنية in the mental images. فهنا لدينا صورة ذهنية لمزولة رملية ولامرأة، ونحن نرسّم وسط المزولة الرملية على خصر المرأة. ولنلاحظ أن الكلمات لا تخبرنا أيُّ جزء من المزولة الرملية علينا أن نرسّمه على الخصر، أو أي جزءٍ وحيد من شكل المزولة الرملية يناظر الخصر. إن الكلمات عبارة عن محفّزات لنا لنرسّم من صورة واحدة عُرفية إلى أخرى.

وكذلك، تأمّل:

- لقد كانت أصابع قدمه مثل أصابع بيانو صغير. .His toes were like the keyboard of a spinet

(Rabelais, "The Description of King Lent", trans. J.M. Cohen)

هنا أيضًا لا تنبئنا الكلمات أن إصبع قدم مفرد يناظر مفتاحًا مفردًا في لوحة مفاتيح البيانو. فالكلمات محفّزات prompts لنا لنؤدّي ترسيمًا تصوريًا بين صور ذهنية عُرفية. خصوصًا أننا نرسّم جوانب بنية (الجزء - الكل)، the part-whole structure الخاصة بصورة واحدة على جوانب بنية (الجزء- الكل) الخاصة بصورة أخرى. فمثلما أن المفاتيح المفردة هي أجزاء من لوحة المفاتيح ككل، فإن أصابع القدم المفردة هي كذلك أجزاء من القدم ككل.

إن ترسيم الصورة يمكن أن يتضمّن أكثر من ترسيم علاقات (الجزء - الكل) الفيزيقية. على سبيل المثال، إن ارتفاع مستوى الماء لنهر ما يمكن أن ينخفض ببطء وأن يكون ذلك البطء جزءًا من صورة ديناميكية يمكن أن تكون مرسّمة في خلع بطيء للملابس:

رويدًا رويدًا في الخريف تُعرّي
الأنهارُ الضفافَ الرملية
خجولة المرأة في حبها الأول
وهي تُعري فخذيها

Slowly slowly rivers in autumn show
sand banks
bashful in first love woman
showing thighs
(Merwin & Masson, 1981, p. 69)

ثمة أوصاف أخرى أيضًا مرسَّمة: لون الضفة الرملية على لون اللحم، نوعية الضوء على ضفة رملية مبلَّلة على انعكاسية الجلد، الانسياب الرقيق للمسة الماء المنحسر عن الضفة على الانسياب الرقيق للملابس على الجلد. ولنلاحظ أن الكلمات لا تنبئنا عن أن هناك أية ملابس متضمَّنة. بل إننا نصل إلى ذلك من صورة ذهنية عُرفية. إن بنية الجزء – الكل مرسَّمة أيضًا في هذا المثال. فالماء يغطي الجزء الخفي من الضفة تمامًا كما تغطي الملابس الجزء الخفي من الجسد. إن تكاثر التفاصيل في الصور يقصر ترسيمات الصورة على حالات محدَّدة بدرجة عالية. وذلك ما يجعلها ترسيمات أحادية الانطلاق.

إن مثل هذه الترسيمات لصورة واحدة على صورة أخرى يمكِّنها من أن تقودنا إلى ترسيم المعرفة الخاصة بالصورة الأولى على المعرفة الخاصة بالصورة الثانية.

تأمَّل المثال التالي من نافو:

- جوادي ذو عرف مشغول من أقواس قزح قصيرة.

My horse with a mane made of short rainbows.
("War God's Horse Song I" words by Tall Kia ahni, interpreted by Louis Watchman)

إن بنية قوس قزح، طوقه ذا الخطوط المتعرجة على سبيل المثال، مرسَّمةٌ على قوس من الشعر المتعرج، وأقواس قزح العديدة مرسَّمة على تلك الأقواس العديدة في عرف الحصان. ويتيح لنا مثل هذا الترسيم للصورة أن نرسِّم تقييمنا لمجال الانطلاق على مجال الوصول؛ إذ إننا نعرف أن أقواس قزح جميلة ومميزة وملهمة وأرحب من الحياة، وتقريبًا سحرية، وإن رؤيتها تجعلنا سعداء وتوحي لنا بالجلال. إن هذه المعرفة مرسَّمة على ما نعرفه عن الجواد: إنه أيضًا يوحي بالجلال، وجميل، وأرحب من الحياة وتقريبًا سحري. وهذا البيت من قصيدة تحوي سلسلة من مثل تلك الترسيمات للصورة:

حافر جوادي مثل عقيق مُجزَّع
ودوابره مثل ريش عقاب منساب
سيقان جوادي مثل البرق الخاطف
وجسده سهم مراش بريش عقاب
ذيل جوادي مثل سحابة سوداء لا تنقطع

My horse has a hoof of striped agate,
with his fetlock like a fine eagle plume
My horse whose legs are like quick lightning
Whose body is an eagle-plumed arrow:
My horse whose tail is like a trailing black cloud.

تثير استعارات الصورة image metaphors قضيتين أساسيتين بالنسبة للنظرية العامة للاستعارة: كيف تعمل هذه الاستعارات؟ ما الذي يقيِّد الترسيمات؟ ما أنواع البنى الداخلية التي تحظى بها الصور الذهنية بحيث تسمح لبعض الترسيمات أن تعمل بيسر، ولبعض آخر أن يعمل بعناء، بينما لا تتيح لبعض آخر منها أن يعمل على الإطلاق؟

ما النظرية العامة للاستعارة التي تربط استعارات الصورة مع كل الاستعارات العُرفية التي ترسِّم البنية القضوية لمجال ما على البنية القضوية لمجال آخر؟

لقد اقترحت أنا وتيرنر (Lakoff & Turner, 1989) أن مبدأ الثبات يمكنه أن يكون جوابًا عن كلا السؤالين. ونقترح أن الصور الذهنية العُرفية مبنية بخطاطات صورة image-schemas، وأن استعارات الصورة تحافظ على بنية صورة خطاطية image-schematic structure مرسِّمة الأجزاء على الأجزاء، والكليات على الكليات، والأوعية على الأوعية، والطرق على الطرق وهكذا. ويصبح التعميم هو أن كل الاستعارات مطردة invariant فيما يتعلق بطوبولوجيتها المعرفية، أي أن كل ترسيم استعاري يحتفظ ببنية خطاطة صورة image-schema structure.

استعارات المستوى العام

حين كنا نكتب، أنا وتيرنر، «أكثر من العقل الهادئ» افترضنا وجود ما سميناه استعارات المستوى العام generic-level metaphors لنتعامل مع مشكلين كنا نواجههما - المشكل الأول هو مشكل التشخيص personification، والمشكل الثاني هو مشكل الأمثال proverbs التي تتطلب فهمًا للتمثيل analogy.

وسأناقش كلاً منهما على التوالي.

التشخيص

عبر دراسة تشكيلة كبيرة من القصائد حول الموت في الإنجليزية، وجدنا أن الموت، على امتداد القصائد ومن قصيدة لأخرى كان مشخَّصًا personified في عدد محدود نسبيًا من الصور: سائقين، حُوذيين، حُجَّاب Footmen، حاصدين، مفترسين، هادمين، خصوم في صراع أو لعبة (لنقل فارس في نزال أو خصم شطرنج). وقد كان السؤال الذي طرحناه هو: لمَ هذه الصور؟

لماذا لم يشخَّص الموت كمدرس أو نجار، أو بائع آيس كريم؟ إلا أن الصور التي تتكرر بشكل مطرد تبدو، على نحو ما، ملائمة. لكن لماذا؟

لقد وجدنا من خلال دراسات التشخيصات بشكل عام أن هذا العدد الساحق فيما يبدو يوافق نمطًا مفردًا: أحداث (مثل الموت) مفهومة وفقًا لأفعال فاعل ما (مثل الحاصد). إنه ذلك الفاعل الذي يشخَّص. ومن ثمَّ فقد افترضنا استعارة عامة جدًا وهي استعارة الأحداث أفعال Events are Action، التي ترتبط باستعارات أخرى موجودة بشكل مستقل للحياة والموت. تأمَّل، على سبيل المثال، استعارة الموت رحيل Death is Departure. إن الرحيل حدث an event، وإذا فهمنا هذا الحدث بوصفه فعلاً an action من قِبَل فاعل مسبِّب causal agent - شخص ما يسبِّب أو يساعد على أن يسبِّب الرحيل - حينئذٍ يمكننا أن نعلِّل شخصيات figures مثل السائقين والحوذيين والحجَّاب وما إليها، إليك استعارة الناس نباتات People are Plants. ووفقًا للمسار الطبيعي للأشياء، فإن النباتات تذوي وتموت.

وإذا كنا نرى الحدث بوصفه فعلاً سببيًّا من قبل فاعل ما، فإن ذلك الفاعل هو حاصد، وإلى هذا الحد تبدو الأمور على ما يرام. لكن لماذا تأتي صور الهادمين destroyers والمفترسين devourers؟ وماذا عن الحالات المستحيلة؟

إن التهديم والافتراس أفعال يكفُّ فيها الكيان عن أن يوجد. وهو ما ينطبق على الموت، والمظهر الكلي لحدث الموت مشابه في هذا الصدد للمظاهر الكلية لأحداث التهديم والافتراس، وعلاوة على ذلك، فإن ثمة بعدًا سببيًّا للموت: مرور الزمن سيسفر في النهاية عن الموت. ومن ثمَّ، فإن المظهر الكلي لحدث الموت يمتلك كيانًا سيتوقف عبر الزمن عن أن يوجد كنتيجة لعلة ما. والافتراس والتهديم لهما مظهر الحدث الشامل نفسه. أي أنه الشيء نفسه فيما يتعلق بالبنية السببية وبقاء الكيانات عبر الزمن.

وقد لاحظ تيرنر حالة مشابهة في كتابه «الموت أم الجمال»، وهو عمله الكلاسيكي عن استعارة القرابة. حيث تعبيرات مثل «الحاجة أم الاختراع»، أو «إدوار تيلر أبو القنبلة الهيدروجينية»، تفهم السببية بناء على الولادة أو الأبوة، وهو ما يدعوه تيرنر استعارة السببية إنجاب Causation is Progeneation. لكن وكما لاحظ هو نفسه (pp. 145–148)، فإن هذه الاستعارة لم يكن من الممكن لها أن تُستخدَم لأية حالة لمجرد السببية فحسب. وإنما أمكن لها فقط أن تُستخدَم لحالات يكون لها المظهر الكلي لحدث الإنجاب؛ إذ يجب أن يكون شيء ما مخلوقًا من العدم، ويجب أن يبقى هذا الشيء المخلوق لفترة طويلة من الزمن (كما لو كانت له حياة).

وهكذا، مثلاً، يمكننا أن نتحدث عن سوسير على أنه أبو اللسانيات التزامنية المعاصرة، أو عن مدينة نيو أورليانز، بولاية لويزيانا، بوصفها أمَّ موسيقى الجاز. إلا أننا لا نستطيع أن نستخدم هذه الاستعارة لفعل سببي مفرد ذي تأثير قصير الأجل؛ إذ لا نستطيع أن نتحدث عن جوس كانسيكو Jose Canseco على أنه أبو ضربة البيسبول الدائرية التي ضربها للتو، أو عن تلك الضربة الدائرية الحديثة بوصفها أمَّ الفوز بأعلى النقاط لأوكلاند في المباراة. إلا أننا نستطيع مع ذلك أن نتحدث عن بيب روث Babe Ruth على أنه أبو الضربة الدائرية الحديثة للبيسبول، وعن الضربات الدائرية بوصفها سبب ميلاد عصر لاعبي البيسبول كنجوم كبار جدًّا. إن المظهر الكلي للحدث الخاص بمجال الوصول يحدِّد قابلية الاستعارة للتطبيق.

وفي ظل تذكر ملاحظة تيرنر حول السببية إنجاب، فإننا قد افترضنا وفقًا لذلك أن استعارة الأحداث أفعال مقيَّدة Constrained على النحو التالي: يجب أن يكون للفعل المظهر نفسه الذي للحدث. إن المحافظ عليه عبر الترسيم هو البنية السببية، والبنية الجهوية the aspectual structure واستمرارية الكيانات. وقد أشرنا إلى هذا بوصفه «بنية المستوى العام».

إن بقاء بنية المستوى العام فسرت لماذا لم تتم صياغة الموت استعاريًا بناء على التدريس أو ملء حوض الاستحمام (البانيو) أو الجلوس على الأريكة. إن هذه الأفعال ليس لها البنية السببية والكلية نفسها التي للحدث، إنهما لا يشتركان في «بنية المستوى العام».

الأمثال Proverbs: في الصور البلاغية الأسيوية - حيث تتخذ الأمثال شكل قصائد قصيرة - يثار السؤال فيما يخص الحدود التي يفترض أن تكون على تأويل مثل ما؛ إذ تكون بعض التأويلات طبيعية، في حين يبدو بَعْضُها الأخر مستحيلاً. فلماذا؟

تأمَّل المثال التالي من الصور البلاغية الأسيوية، ترجمة وليم ميروين.

- الأعمى يلوم الحفرة. .Blind blames the ditch

لتدرك إلى حدٍّ ما المدى الممكن للتأويلات، تأمَّل استخدام المثل:

افترض أن ثمة مرشَّحًا للرئاسة يسلك سلوكًا يتسم بعدم اللياقة الشخصية (على الرغم من أنه ليس مخالفًا للقانون، وليس متعلقًا بالقضايا السياسية) ويتم تدمير ترشيحه بتقرير صحفي عن عدم اللياقة. فيلوم الصحافة على نشر ذلك التقرير الصحفي، بدلاً من أن يلوم نفسه على اقتراف ما اقترفه. بينما نعتقد نحن أنه كان عليه أن يكون مدركًا لطبيعة تغطية الصحافة السياسية حين اختار أن يسلك بعدم لياقة.

ونعبِّر عن حكمنا هذا بقولنا «الأعمى يلوم الحفرة».

وقد لاحظتُ أنا وتيرنر (١٩٨٩) أن بنية المعرفة المستخدمة في فهم حالة عدم لياقة المرشح اشتركت في أشياء محدَّدة مع بنية المعرفة المستخدمة في فهم التأويل الحرفي لـ «الأعمى/ يلوم الحفرة». وبنية تلك المعرفة تتمثل في التالي:

ثمة شخص مصاب بإعاقة، تحديدًا العمى. وهو يواجه موقفًا، تحديدًا حفرة، تسفر فيه إعاقته، أي عدم قدرته على أن يرى الحفرة - عن نتيجة سلبية، أي سقوطه في الحفرة. وهو يلوم الحفرة بدلاً من أن يلوم إعاقته. وقد كان عليه أن يجعل نفسه هو المسئول، لا الموقف.

إن خطاطة المعرفة المحدَّدة حول الرجل الأعمى والحفرة هي حالة لخطاطة معرفة عامة، تغيب فيها معلومات محدَّدة عن الأعمى والحفرة.

ودعونا نشر إليها بوصفها «خطاطة المستوى العام» التي تبني معرفتنا بالمثل.

وتتمثل خطاطة معرفة المستوى العام تلك في التالي:

- ثمة شخص مصاب بإعاقة.
- وهو يواجه موقفًا تسفر فيه إعاقته عن نتيجة سلبية.
- وهو يلوم الموقف بدلاً من إعاقته الخاصة.
- وكان عليه أن يجعل نفسه هو المسئول، لا الموقف.

إن هذه خطاطة عامة جدًا تميِّز فئة من المواقف المفتوحة النهاية. ويمكننا أن نفكِّر فيها بوصفها قالبًا متحولاً a variable template يمكن ملؤه بطرق عديدة. وقد تصادف أننا كنا، أنا وتيرنر، نبحث هذا المثل في الوقت نفسه الذي كانت فيه فضيحة جاري هارت، وهارت مرشَّح للرئاسة اقترف أفعالاً جنسية غير لائقة أثناء الحملة الانتخابية؛ مما جعل ترشيحه يتحطم، ثم أخذ يلوم الصحافة على سقوطه. «الأعمى/ يلوم الحفرة» يناسب هذا الموقف. وها هي كيفية ذلك:

- الشخص هو المرشح الرئاسي.
- إعاقته هي عدم قدرته على أن يفهم نتائج سلوكه الشخصي غير اللائق.

- السياق الذي يواجهه هو اقترافه سلوكًا غير لائق بصورة علنية، ونشر الصحافة تقريرًا عنه.
- النتيجة هي جعل ترشيحه يتحطم.
- وهو يلوم الصحافة.
- أمّا نحن فنحكم عليه بوصفه أحمق للومه للصحافة بدلاً من لومه لنفسه.
- إذا نظرنا إلى خطاطة المستوى العام بوصفها وسيطًا بين المثل «الأعمى/ يلوم الحفرة» وقصة عدم لياقة المرشح، فإننا نجد التناظر التالي:
- الشخص الأعمى يناظر مرشح الرئاسة.
- عماه يناظر عدم قدرته على أن يفهم عدم لياقته الشخصية.
- الوقوع في الحفرة يناظر اقترافه للسلوك غير اللائق وجعله يُنشر.
- الوجود في الحفرة يناظر الوجود خارج المنافسة كمرشح.
- لوم الحفرة يناظر لوم التغطية الصحفية.
- الحكم على الرجل الأعمى كأحمق للومه الحفرة يناظر الحكم على المرشح كأحمق للومه التغطية الصحفية.

إن هذا التناظر يحدّد التأويل الاستعاري للمثل كما هو مطبّق على عدم لياقة المرشح. وعلاوة على ذلك، فإن فئة الطرائق الممكنة لملء خطاطة المستوى العام للمثل تناظر فئة التأويلات الممكنة للمثل. ولذا، فإننا نستطيع أن نفسر لماذا «الأعمى/ يلوم الحفرة» لا يعني «أخذت حمّامًا»، أو «عمتي جالسة على الأريكة»، أو أيًا من الأشياء التي لا تُحصى، ولا يمكن للمثل أن يعنيها.

وقد أظهرت كل الأمثال التي درستها أنا وتيرنر أنها تحوي هذا النوع من خطاطة المستوى العام، وقد بدا أن أنواع الأشياء التي برزت في مثل هذه الخطاطات متطابقة إلى حد بعيد جدًا على امتداد الحالات. وهي تتضمن:

- البنية السببية Causal structure
- البنية الزمنية Temporal structure

مظهر الحدث Event shape، أي هل فوري أو مكرَّر، مكتمل النهاية أو مفتوح النهاية، فريد أو مكرَّر، له مراحل ثابتة أو لا، يحافظ على وجود الكيانات أو لا، وهكذا.

- بنية الغرض Purpose structure
- البنية المنوالية Modal structure
- المقاييس الخطيّة Linear scales

لا تعد هذه قائمة شاملة، إلا أنها تتضمن معظم العناصر الرئيسية في بنية المستوى العام الذي اكتشفناه. بَيْدَ أن المدهش بالنسبة إلينا في هذه القائمة هو أن كل شيء فيها - في ظل مبدأ الثبات - هو جانب من البنية الخطاطية للصورة. بإيجاز، إذا كان مبدأ الثبات صحيحًا فإن سبيل الوصول إلى خطاطة المستوى العام لبنية معرفة ما هو استخلاص بنية صورتها الخطاطية.

إن التأويل الاستعاري لأشكال من الخطاب مثل الأمثال proverbs، والحكايات التمثيلية fables، والأمثولات الكنائية (الأليجوريات) allegories، وسواها يعتمد فيما يبدو على قدرتنا على أن نستخلص بنية المستوى العام generic-level structure.

وقد أسميتُ أنا وتيرنر العلاقة بين بنية معرفة محدَّدة a specific knowledge structure وبنية مستواها العام باستعارة العام هو الخاص the Generic is specific metaphor. وهي آلية شائعة إلى أقصى درجة لفهم العام وفقًا للخاص. وإذا كان مبدأ الثبات صحيحًا إذًا فإن استعارة العام هو الخاص تكون استعارة في حدها الأدنى، a minimal metaphor. وهي ترسِّم ما يتطلبه منها مبدأ الثبات، ولا شيء أكثر من ذلك. وإذا ما تبيَّن أن بنية المستوى العام هي تمامًا بنية الصورة الخطاطية، إذًا فإن مبدأ الثبات تكون له قيمة تفسيرية هائلة؛ إذ سيُلغي الحاجة إلى تشخيص منفصل لصفات بنية المستوى العام. وبدلاً من ذلك، فإنه هو نفسه سيشخص بنية المستوى العام، مفسِّرًا التشخيصات الممكنة possible personifications والتأويلات الممكنة للأمثال.

التمثيل

إن استعارة العام هو الخاص مُستخدَمة لأكثر من مجرد تأويل الأمثال. وقد اقترح تيرنر (١٩٩١) أنها أيضًا الآلية العامة العاملة في التعليل التمثيلي analogic reasoning، وأن مبدأ الثبات يحدِّد

السمات المميِّزة لطبقة التمثيلات الممكنة possible analogies. ويمكننا أن نرى كيف يعمل هذا مع مثال جاري هارت المستشهد به من قبل؛ إذ يمكننا أن نحوِّل ذلك المثال إلى تمثيل في الجملة التالية: «لقد كان جاري هارت مثل رجل أعمى سقط في حفرة ولام الحفرة».

وتفيد آلية فهم هذا التمثيل من:

- خطاطة المعرفة الخاصة بالرجل الأعمى والحفرة
- خطاطة المعرفة الخاصة بجاري هارت
- استعارة العام هو الخاص.

إن استعارة العام هو الخاص ترسِّم خطاطة المعرفة الخاصة بالرجل الأعمى والحفرة على خطاطة مستواها العام. وتحدِّد خطاطة المستوى العام فئة تصنيفية مفتوحة النهاية لخطاطات المعرفة. فخطاطة جاري هارت هي أحد أفراد تلك الفئة التصنيفية؛ نظرًا لأنها توافق خطاطة المستوى العام ذات التناظرات المذكورة من قبل.

ويبدو حتى وقتنا هذا أن تلك التمثيلات تستخدم هذه الآلية الاستعارية. إلا أنه من الشائع بالنسبة للتمثيلات أن تستخدم آليات استعارية أخرى أيضًا، على سبيل المثال، استعارة السلسلة العظيمة the Great Chain Metaphor والسلسلة الكاملة من الترسيمات العُرفية في النسق التصوري. إن جملاً مثل «جون ذئب» أو «هاري خنزير» تستخدم استعارة السلسلة العظيمة (انظر ليكوف وتيرنر ١٩٨٩، الفصل الرابع).

ومن الأمثلة الجيدة على كيفية تفاعل باقي نسق الاستعارة مع العام هو الخاص المثالُ المعروف جيدًا لجلو كسبيرج وكيسار (في هذا الكتاب: (الاستعارة والتفكير)، «وظيفتي سجن». أولاً، إن خطاطة المعرفة بالنسبة لأي سجن تتضمن معرفة أن السجن يفرض قيودًا فيزيقية حادة على حركات السجين. وتحافظ استعارة العام هو الخاص على بنية الصورة الخطاطية لخطاطة المعرفة، وبتحليل التفاصيل الخاصة بالسجين والسجن، فإن: (س) يفرض قيودًا فيزيقية حادة على حركات (ص). غير أن استعارتين عُرفيتين إضافيتين تنطبقان على خطاطة المستوى العام هذا: استعارة بنية الحدث مع الاستعارتين الفرعيتين الأفعال حركات ذاتية الانطلاق، والقوة النفسية قوة فيزيقية Psychological Force is Physical Force. إن هذه الاستعارات ترسِّم «(س) يفرض قيودًا فيزيقية حادة على حركات (ص)»

على «(س) يفرض قيودًا نفسية حادة على أفعال (ص)». وهكذا، فإن جملة «وظيفتي سجن» تفرض تأويلاً فيه (س)= وظيفتي، و(ص) = أنا (ي)، ومن ثم تنتج معرفة أن «وظيفتي تفرض قيودًا نفسية حادة على أفعالي». وبناءً عليه، فإن آلية فهم «وظيفتي سجن» تستخدم استعارات شائعة جدًا موجودة بشكل مستقل، وهي استعارات: العام هو الخاص، والقوة النفسية قوة فيزيقية، واستعارة بنية الحدث.

دعوى جلو كسيبرج - كيسار

إنني أذكر هذا المثال بسبب دعوى جلو كسيبرج وكيسار (في هذا الكتاب) أن الاستعارة هي ببساطة مسألة تفيؤية a matter of categorization. إذ يكتب جلو كسيبرج متطابقًا مع ذاته، (إننا نفترض أن الناس يستطيعون أن يحكموا، ويستطيعون أيضًا أن يستدلُّوا أن كيانات محدَّدة من المستوى الأساسي، مثل «السجون» تنمّط أو تكون شعارية لفئة إسنادية استعارية emblematic of a metaphoric attributive category مثل أن المواقف المقيَّدة هي مواقف غير سارة، إلخ)، إلا أن جلو كسيبرج وكيسار لا يطرحان نظرية عن كيف يمكن أن يتم الحصول على «فئة إسنادية استعارية» من هذا النوع - أي كيف يمكن لنوع واحد من الأشياء (موقف عام) أن يكون مفيَّئًا categorized استعاريًا بشكل أساسي وفقًا لتصور فضائي مثل «التقييد». وبما أن جلو كسيبرج ليس مشغولاً بوصف طبيعة الإنسان التصورية، فإنه لا يرى أن من وظيفته أن يقدّم مثل هذا الإيضاح. أمّا أنا فأزعم في هذا المقال أن المبدأ العام الحاكم لتلك الحالات هو استعارة بنية الحدث. وإذا ما كانت مثل هذه الاستعارة توجد في نسقنا التصوري، فإن مثال «السجن» لجلوكسيبرج - كيسار يكون حينئذ مفسِّرًا آليًا، ولا تكون هناك حاجة لنظريتهما عن التفيؤية Categorization. وواقع الأمر أن الفئة التصنيفية التي تحتاجها - «المواقف المقيَّدة غير سارة» - هي «فئة إسنادية استعارية». "a metaphorical attributive category"

أي أنه للحصول على فئات تصنيفية ملائمة في نظريتهم لتفيؤية الاستعارة يحتاج (أي جلوكسيبرج) إلى تفسير للاستعارة. إلا أنه بإعطاء مثل هذا التفسير للاستعارة تغدو نظرية الاستعارة بوصفها تفيؤية غير ضرورية.

بل إن الأسوأ من ذلك بالنسبة لنظرية جلوكسيبرج - كيسار أنها لا تستطيع أن تفسِّر الاستعارات التصورية اليومية من النوع الذي كنا نناقشه ولا الاستعارات الشعرية الغنية بحق، من قبيل ما يجده

المرء، مثلاً، في أعمال ديلان توماس، ولا حتى استعارة الصورة من النوع الشائع في الأمثلة المستشهد بها من التراث السينسكريتي والنافوي والسيريالي. وبما أنها لا تحاول حتى أن تتعامل مع معظم المادة التي تتناولها النظرية المعاصرة للاستعارة، فإنه لا يمكنها أن تفسّر «كيف تعمل الاستعارة».

المزيد حول الاستعارة الجديدة

في الوقت الذي كُتِبَتْ فيه الغالبية العظمى من فصول هذا المجلد× (في أواخر السبعينيات)، كانت تؤخذ الاستعارة على أنها تعني «الاستعارة الجديدة» novel metaphor؛ نظرًا لأن النسق المهول للاستعارة العُرفية يكاد ألا يكون قد تمت ملاحظته بعد. ولذا؛ فإن الكُتّاب المشاركين لم يطرحوا قط التساؤل عن كيفية عمل نسق الاستعارة العُرفية في تأويل الاستعارة الجديدة. وقد رأينا للتوّ مثالاً واحدًا على هذا، فدعونا نعاين بعض الأمثلة الأخرى.

بقدر ما تشيع الاستعارة الجديدة بقدر ما يُعد وقوعها نادرًا مقارنة بالاستعارة العُرفية التي تقع في معظم الجمل التي نتلفظها. إن نسقنا الاستعاري اليومي، الذي نستخدمه لنفهم مفاهيم شائعة شيوع الزمن والوضع والتغير والسبب والغرض وسواها - فعّال بصورة مستمرة، ومُستخدَم إلى أقصى حد في تأويل الاستخدامات الاستعارية الجديدة للغة. إن المشكل مع كل الأبحاث القديمة[٦] حول الاستعارة الجديدة هو أنها أغفلت تمامًا الإسهام الأساسي الذي يلعبه النسق العُرفي.

فَإذ كما ناقشنا أنا وتيرنر بالتفصيل في (١٩٨٩)، توجد ثلاث آليات أساسية لتأويل التعبيرات اللغوية بوصفها استعارات جديدة: توسيعات لاستعارات عُرفية، واستعارات المستوى العام واستعارات الصورة. إن الاستعارة الشعرية الأكثر إثارة تستخدم كل هذه الآليات متراكِبةً بعضها على بعض. ولنبدأ بأمثلة على توسيعات الاستعارات العُرفية. يبدأ دانتي الكوميديا الإلهية هكذا:

في منتصف طريق الحياة
وجدت نفسي في غابة مظلمة.

In the middle of life's road
I found myself in a dark wood.

إن «طريق الحياة» يستدعي مجال الحياة ومجال السفر، ومن ثم الاستعارة العُرفية الحياة رحلة التي تربطهما. وتستدعي «وجدت نفسي في غابة مظلمة» المعرفة الخاصة بأنه إذا كان ما حولك مظلمًا، فإنك لا تستطيع أن ترى أي طريق تسلك.

وهذا يستدعي مجال الرؤية، ومن ثم الاستعارة العُرفية المعرفة رؤية، كما هي في «أرى ما ترمي إليه» "I see what you're getting at"، و«دعاواه غير واضحة» "his claims aren't clear"، و«الفقرة معتمة» "the passage is opaque" وما إلى مثل هذه التعبيرات. ويلزم عن ذلك أن المتكلم لا يعرف إلى أي طريق يمضي. وبما أن استعارة الحياة رحلة تحدِّد جهات الوصول على أنها أهداف الحياة، فلا بد من أن المتكلم لا يعرف أيًّا من أهداف الحياة عليه أن يتبع، أي أنه بلا اتجاه في حياته. إن كل هذا لا يستخدم سوى نسق الاستعارة العُرفية، بنية المعرفة المعتادة التي يستدعيها المعنى العُرفي للجملة the conventional meaning of the sentence، واستدلالات استعارية مؤسَّسة على تلك البنية للمعرفة.

ثمة حالة أخرى على القدر نفسه من البساطة لاستخدام النسق العُرفي؛ وهي حالة روبرت فروست:

طريقان تَشَعَّبَا، وأنا، في غابة
سلكت الأقل طَرْقًا
وغيَّر ذلك كلَّ شيء.

Two roads diverged in a wood, and
I took the one less traveled by,
and that has made all the difference.

نظرًا لأن لغة فروست لا تشير صراحة في معظم الأحيان إلى أن القصيدة يجب أن تفهم استعاريًّا، فإن مدرِّسي اللغة الإنجليزية غير الأكْفاء أحيانًا ما يدرِّسون لغة فروست كما لو كان شاعر طبيعة، يصف ببساطة مشاهد طبيعية. (ولديَّ بالفعل طلاب علَّمهم مدرسوهم في المدرسة الثانوية ذلك!) ووفقًا لذلك، فإن هذا المقتطف يمكن أن يُقرأ قراءة غير استعارية على أنه فقط حول رحلة يواجه فيها المرء مفترق طرق؛ إذ إنه ما من شيء في الجملة نَفسِهَا يجبر المرء على تأويل استعاري. لكن بما أنها حول السفر ومواجهة مفترق طرق، فإنها تستدعي معرفة عن الرحلات. وهذا ينشِّط (يفعِّل) activate نسق الاستعارة العُرفية الذي كنا نناقشه منذ قليل، والذي تكون فيه النشاطات الهادفة الطويلة الأجل

مفهومة بوصفها رحلات، والأكثر من ذلك هو كيف يمكن أن تُفهم الحياة والمسارات المهنية بوصفها أيضًا رحلات شخصية للمرء (أمَّا علاقات الحب، المشتملة على مسافرين، فهي مستبعدة هنا).

إن القصيدة مأخوذة نموذجيًا على أنها حول الحياة واختيار أهداف الحياة، ومع ذلك، فإنها قد تكون مؤوَّلة أيضًا بوصفها حول المسارات المهنية وسبل المسار المهني، أو حول نشاط ما هادف بعيد المدى. إن كل ما يُحْتَاج إليه لإحراز المدى المطلوب من التأويلات هو بنية الاستعارات العُرفية - المناقشة فيما مضى - وبنية المعرفة التي تستدعيها القصيدة. إن الترسيم العُرفي سينطبق على بنية المعرفة مُنتِجًا الاستدلالات الملائمة. ولن تكون ثمة حاجة إلى آليات خاصة.

نظرية سيرل

لن أواصل نقاشي بمزيد من الأمثلة الشعرية الأخرى المعقدة؛ لأنها تتطلب تناولاً مطولاً وهو متوفر في أعمال ليكوف وتيرنر (١٩٨٩)، وتيرنر (١٩٨٧)، و(١٩٩١). وبدلاً من ذلك، فإنني سأقتصر هنا على نقاش ثلاثة أمثلة من فصل جون سيرل في هذا المجلد. ولنتأمَّل أولاً عبارة ديزرلي: «لقد ارتقيت إلى قمة العمود اللزج» "I have climbed to the top of the greasy pole"

إن هذه الجملة يمكن أن تُفهم على نحو غير استعاري، إلا أن تأويلها الاستعاري الأكثر احتمالاً يأتي من خلال استعارة المسار المهني رحلة. وهذه الاستعارة مستدعاة من خلال ارتباطها بالمعرفة الخاصة بمجال الانطلاق حول تسلق الأعمدة الذي هو حركة صاعدة مُجْهِدة ذاتية الانطلاق، موجَّهة إلى جهة وصول محدَّدة، ومعرفة أن هذه الاستعارة تشتمل على الحركة الصاعدة المُجْهِدة الذاتية الانطلاق الموجَّهة إلى جهة وصول محدَّدة، وجزء من المعرفة المستدعاة يتمثل في أن المتكلم يرتقي بقدر ما يستطيع أن يتسلق هذا العمود المحدَّد، وأن العمود كان صعبًا في تسلقه، وأنه من المحتمل أن يكون التسلق تضمَّن حركة هابطة، وأنه من الصعب لشخص ما أن يبقى على قمة عمود لزج، وأنه من الوارد جدًّا أنه سينزلق هابطًا مرة أخرى. إن استعارة المسار المهني رحلة[٧] ترسِّم هذه المعرفة على معرفة مناظرة حول المسار المهني للمتكلم: إنه يحقِّق من المكانة بقدر ما يمكنه أن يبلغ في ذلك المسار المهني المحدَّد، وقد كان صعبًا أن يصل إلى هذا القدر في مجال العمل، ومن المحتمل أن هذا تضمَّن فقدًا مؤقتًا للمكانة عبر الطريق، وأنه سيكون من الصعب الحفاظ على هذا الوضع، وأنه من المحتمل أن يفقد هذه المكانة قبل أن

يمر وقت طويل. إن كل هذا لا ينشأ من شيء آخر عدا الترسيم العُرفي المسار المهني بوصفه رحلة الذي نشترك فيه جميعًا؛ كجزء من أنساقنا الاستعارية إضافة إلى معرفتنا عن تسلق الأعمدة اللزجة.

أمَّا المثال الثاني الذي سأتناوله لسيرل فهو «سالي قطعة ثلج» "sally is a block of ice". توجد هنا استعارة عُرفية هي «التعاطف دفء» "Affection is Warmth"، كما هو في جمل معتادة مثل «إنها إنسانة دافئة»، «لقد كان باردًا تجاهي»، وما إلى ذلك. إن «قطعة ثلج» تستدعى مجال الحرارة، وبما أنها تُخبر عن شخص ما، فإنها أيضًا تستدعي معرفة عمَّا يمكن أن يكون عليه هذا الشخص.

وكلا النوعين من المعرفة ينشّطان بصورة مترابطة التعاطف دفء. وبما أن «قطعة ثلج» تعني شيئًا باردًا جدًا ولا يسري إليه الدفء بسرعة أو بسهولة، فإن هذه المعرفة تكون مرسِّمة على سالي بوصفها متبلّدة العاطفة جدًا، وغير قادرة على أن تكون عاطفية بسرعة أو بسهولة. مرة أخرى، إن كل ما نحتاج إليه هو المعرفة المشتركة واستعارة عُرفية لدينا جميعًا. أخيرًا، يناقش سيرل مثال «لقد كانت الساعات تزحف ونحن ننتظر الطائرة» "The hours crept by as we waited for the plane" إن لدينا هنا فعلاً من أفعال الحركة يُخبر عن تعبير من تعبيرات الزمن؛ حيث يُفعّل الأول المعرفة عن الحركة عبر الفضاء، ويُفعّل الثاني مجال الزمن. وهما على نحو مترابط يُفعّلان معًا ترسيم الزمن بوصفه موضوعًا متحركًا. ومرة أخرى نجد أن معنى الجملة ينشأ فقط من المعرفة اليومية والنسق اليومي للترسيمات الاستعارية.

ويفسّر سيرل مثل هذه الحالات بمبدئه الرابع، الذي يقول: «إننا ندرك فحسب صلة ما» تكون هي أساس التأويل. إلا أن هذا يبدو مبهمًا، ولا يقول لنا ماذا تكون هذه الصلة المُدْرَكة أو لماذا «ندركها فحسب». وحين نصوغ كل تلك «الصلات المُدْرَكة»، فإنها لا تسفر إلا عن نسق الاستعارات التصورية الذي كنت أصفه، بَيْدَ أنه ما إن يوجد ذلك النسق حتى تغدو نظرية سيرل ومبادئه غير ضروريتين.

إضافة إلى ذلك، فإن طرح سيرل للمعنى الحرفي يصوغ غالبية الفروض الزائفة المعتادة التي تُصاحب ذلك المصطلح؛ إذ يفترض سيرل أن كل اللغة اليومية العُرفية حرفية وليست استعارية. ولذا، فإنه يستبعد كل مثال من أمثلة الاستعارة العُرفية، ليس فقط الموصوفة في هذا الفصل، بل في أدبيات الحقل بأسرها.

إن دراسة النسق الفرعي الاستعاري الخاص بنسقنا التصوري تمثل جزءًا مركزيًا من اللغويات التزامنية؛ لأن قدرًا كبيرًا من نسقنا الدلالي، أي نسق مفاهيمنا، هو - كما قد رأينا من قبل - نسقٌ استعاري؛ ولأن هذا النسق المهول قد مضى دون أن يُلاحَظ إلى ما قبل عام ١٩٨٠[٨]، فإن مؤلفين مثل سيرل وسادوك وموروجان استطاعوا أن يزعموا - على نحو غير صحيح كما قد اتضح - أن الاستعارة تقع خارج اللغويات التزامنية، وأنها تقع في مجال مبادئ استخدام اللغة.

الأساس الخِبْرَوي للاستعارة

إن النسق التصوري المباطن للغة ما يحوي آلاف الاستعارات التصورية - ترسيمات عُرفية من مجال ما إلى آخر، من قبيل استعارة بنية الحدث. أمَّا الاستعارات الجديدة للغة ما - باستثناء استعارات الصورة - فهي امتدادات (توسيعات) extensions لهذا النسق العُرفي الهائل. ولعل السؤال الأعمق الذي يتوجب على أية نظرية عن الاستعارة أن تجيب عنه هو هذا: لماذا لدينا الاستعارات العُرفية التي لدينا؟ أو بدلاً من ذلك: هل ثمة أي تعليل حول لماذا تحوي الأنساق التصورية مجموعة بعينها من الترسيمات الاستعارية وليس مجموعة أخرى؟ ويبدو أن ثمة إجابات فعلاً عن هذه الأسئلة بالنسبة للعديد من الترسيمات المكتشفة حتى الآن، إلا أنها مع ذلك تقع في نطاق التفسيرات المعقولة أكثر منها في نطاق النتائج العلمية.

ولنأخذ حالة بسيطة: استعارة الأكثرُ مرتفعٌ the more is up، كما تُرى في تعبيرات مثل «الأسعار ارتفعت» "prices rose"، «دخله انخفض» "his income went down"، «البطالة مرتفعة» "unemployment is up"، «الصادرات منخفضة» "exports are down"، «عدد من لا مأوى لهم مرتفع جدًا» "the number of homeless is very high".

ثمة لغات أخرى فيها الأكثر مرتفع والأقل منخفض less is down ، لكن لا توجد لغات العكس فيها هو الصحيح، أي يكون فيها الأكثر منخفض more is down والأقل مرتفع less is up. لكن لماذا؟ إن النظرية المعاصرة تفترض أن استعارة الأكثر مرتفع مؤسَّسة في الخبرة - في الخبرات المشتركة لسكب المزيد من سائل ما في وعاء، ورؤية المستوى يرتفع، أو إضافة المزيد من الأشياء إلى كومة ما ورؤية

الكومة وهي تعلو. وهذه خبرات منتشرة انتشارًا شاملًا، ونواجهها في كل يوم من أيام حياتنا. وهي ذات بنية - فيها تناظر بين المجال التصوري للكم والمجال التصوري للعمودية: الأكثر يناظر في مثل هذه الخبرات المرتفع، والأقل يناظر الأدنى. إن هذه التناظرات في الخبرة الفعلية تشكّل الأساس للتناظرات في الحالات الاستعارية التي تتجاوز الخبرة الفعلية؛ ففي «الأسعار ارتفعت» لا يوجد تناظر في الخبرة الفعلية بين الكم quantity والعمودية verticality، إلا أن فهم الكم بناء على العمودية (الارتفاع) يغدو له معنى بسبب تناظر منتظم في حالات أخرى عديدة للغاية.

ولنتأمّل حالة أخرى. ما أساس الاستعارة الواسعة الانتشار المعرفة رؤية knowing is seeing كما هو في تعبيرات مثل «أرى ما تقول» "I see what you're saying" «كانت إجابته واضحة» "his answer was clear"، «هذه الفقرة معتمة» "this paragraph is murky"، «لقد أعماه الطموح إلى حد أنه لم يُدرك على الإطلاق حدوده» "he was so blind by ambition that he never noticed his limitations".

إن الأساس الخِبروي في هذه الحالة يتمثّل في أن معظم ما نعرفه يأتي عبر الرؤية، وأنه في الأغلبية الساحقة من الحالات نعرف أن الشيء حقيقي إذا ما رأيناه.

ولنتأمّل مع ذلك حالة أخرى. لماذا يكون، في استعارة بنية الحدث، تحقيق غرض ما مفهومًا بوصفه بلوغ جهة وصول ما (محطة) (في النسق الفرعي - الموقع).

(the location subsystem) وبوصفه إحرازًا لموضوع [لشيء] مرغوب (في النسق الفرعي الموضوع «الشيء»)؟ (the object subsystem) تبدو الإجابة مرة أخرى أنها التناظرات في الخبرة اليومية؛ إذ إنه لكيما نحقّق معظم أغراضنا اليومية يجب علينا إمّا أن نتحرك إلى جهة ما وإمّا نحرز موضوعًا (شيئًا) ما. فإنك إن أردت جرعة ماء فسيكون عليك أن تذهب إلى صنبور المياه. وإن أردت أن تكون في ضوء الشمس فسيكون عليك أن تتحرك إلى حيث يكون ضوء الشمس، وإن أردت أن تسجّل ملحوظة ما فعليك أن تحصل على قلم حبر أو رصاص. إن التناظرات بين تحقيق الأغراض وبلوغ جهات وصول ما أو إحراز موضوعات (أشياء)، لهي مسألة شائعة شيوعًا مطلقًا في وجودنا اليومي إلى حد أن الاستعارة الناتجة تبدو طبيعية تمامًا. لكن ماذا عن الأساس الخِبروي «الحياة الهادفة رحلة؟»

لنتذكر أن الترسيم يتم وفق تراتبية توارث؛ حيث أهداف الحياة هي حالات خاصة من الأغراض التي هي جهات وصول في استعارة بنية الحدث. ومن ثم، فإن «الحياة الهادفة رحلة» ترث الأساس الخِبروي لـ «الأغراض جهات وصول». ومن ثمَّ، فإنها توفِّر الأسس الخِبروية غير المباشرة؛ بحيث إن ترسيمًا استعاريًا أدنى في التراتب يمكنه أن يرث أساسه الخِبروي بشكل غير مباشر من ترسيم أعلى في التراتب.

إن الأسس الخِبروية تحفِّز الاستعارات ولا تتنبأ بها، ولذا ليست كل لغة بها استعارة «الأكثر مرتفع» على الرغم من أن كل الكائنات الإنسانية تَخْبُر تناظرًا بين الأكثر والأعلى (المرتفع). أمَّا ما يتنبأ به - فعلاً - هذا الأساس الخِبروي فهو أنه لا توجد لغة ستكون فيها الاستعارة المناقضة «الأقل مرتفع». كما يتنبأ بأن متكلمًا من لغة لا تعرف تلك الاستعارة سيكون قادرًا على أن يتعلَّمها على نحو أسهل كثيرًا من نقيضها.

تحققات الاستعارة

لنتأمَّل موضوعات مثل مقاييس الحرارة ومؤشرات سوق الأوراق المالية؛ حيث الزيادات في الحرارة والأسعار ممثَّلة represented بوصفها أعلى (فوق) up والانخفاضات بوصفها أدنى (تحت) down. إن هذه أشياء أبدعها البشر لتتوافق مع استعارة الأكثر أعلى. فهي تظهر ارتباطًا بين الأكثر والأعلى.

وهي أيسر كثيرًا في أن تُقرأ وتُفهم مما لو تناقضت الاستعارة، لنقل - مثلاً -: الزيادات ممثَّلة على أنها أدنى (تحت) down والانخفاضات على أنها أعلى (فوق) up. إن مثل هذه الأشياء هي طرائق تفرض فيها الاستعارات بنية على الحياة الواقعية، عبر إبداع تناظرات جديدة في الخِبرة. وما إن يتم إبداعها في جيل واحد حتى تعمل كأساس خِبروي لتلك الاستعارة في الجيل التالي.

وثمة طرائق عديدة جدًّا يمكن بها للاستعارات العُرفية أن تصبح متحقِّقة؛ إذ يمكن أن تكون متحقِّقة في منتجات تخييلية واضحة مثل الرسوم الكارتونية والأعمال الأدبية والأحلام والرؤى والأساطير، إلا أنها يمكن أن تكون متحقِّقة بطرائق أقل وضوحًا كذلك، في أعراض فيزيقية physical symptoms، ومؤسسات اجتماعية، وممارسات اجتماعية، وقوانين، بل في السياسة الخارجية وأشكال الخطاب والتاريخ.

لكن دعونا نتناول بعض الأمثلة.

الرسوم الكارتونية: إن الاستعارات العُرفية متحقّقة في الرسوم الكارتونية. وأحد الأمثلة الشائعة هو تحقق استعارة الغضب سائل ساخن في وعاء the anger is a hot fluid in container، التي يمكن للمرء فيها أن يكون «مجنونًا يغلي» أو «نافثًا بخارًا»؛ حيث إنه من الشائع في الرسوم الكارتونية أن يُصوَّر الغضب ببخار خارج من داخل الشخصية. كما تتم الإشارة إلى الفجاجة الاجتماعية social clumsiness بجعل الشخصية الكارتونية «تنكب على وجهها».

الأعمال الأدبية: من الشائع في حبكة الرواية أن تكون تحقيقًا لاستعارة الحياة الهادفة رحلة؛ حيث يتخذ مسار الحياة شكل رحلة فعلية. وتعد «رحلة الحج» Pilgrim's progress مثالاً كلاسيكيًا على هذا.

الشعائر: تأمّل الشعيرة الثقافية التي يُحمل فيها المولود الحديث الولادة إلى الأدوار العلوية لتأكيد نجاحه أو نجاحها.

إن الاستعارة المتحقّقة في هذه الشعيرة هي المكانة فوق، status is up، كما في «شق طريقه إلى القمة»، «لقد ارتقى سلم النجاح»، «سترتفع في الدنيا».

تأويل الحلم: إن الاستعارات التصورية تشكّل معجم تأويل الأحلام؛ إذ إن مجموع استعاراتنا التصورية اليومية يجعل تأويل الأحلام ممكنًا. تأمّل واحدًا هو أكثر الأمثلة شهرة من بين كل الأمثلة، وهو تأويل يوسف لحلم فرعون في سفر التكوين: «في حلم فرعون، فرعون واقف على ضفة النهر، وإذ بسبع بقرات سمان تخرج من النهر، تتبعها سبع بقرات عجاف تأكل السبع السمان وتبقى مع ذلك عجافًا كما هي. ويحلم فرعون ثانية، لكنه، هذه المرة، يرى سبع سنابل ذرة نابتة «ممتلئة وناضرة»، ثم سبع سنابل يابسة نابتة بعدها. فالتهمت السنابل اليابسة السنابل الناضرة. ويؤوّل يوسف الحُلمين بوصفهما حلمًا واحدًا. فسبع البقرات السمان والسنابل الناضرة الممتلئة هي سنوات رخاء، وسبع البقرات العجاف والسنابل اليابسة هي سنوات قحط تتلو سنوات الرخاء. إن سنوات القحط تلتهم ما تثمره سنوات الرخاء». إن هذا التأويل يكون له معنى بالنسبة إلينا بسبب مجموعة من الاستعارات التصورية في نسقنا المفهومي؛ أي استعارات ظلّت معنا منذ أزمنة الكتاب المقدّس. الاستعارة الأولى

هي استعارة الأزمنة كيانات متحركة. وأمّا النهر فإنه استعارة شائعة لجريان الزمن، والأبقار كيانات فردية (سنوات) ناجمة عن جريان الزمن وتتحرك مرورًا بالملاحظ، وكذلك سنابل الذرة هي أيضًا كيانات تدخل المشهد. أمّا الاستعارة الثانية فهي استعارة تحقيق غرض ما هو الأكل؛ حيث يشير كونها سمانًا إلى النجاح، ويشير كونها عجافًا إلى الفشل. إضافة إلى ذلك فإن الاستعارة مصحوبة بكناية من أكثر الكنايات metonymies شيوعًا وهي أن ينوب جزء عن الكل[٩] A part stands for the whole. وبما أن البقرات والذرة منمّطة للحوم والحبوب المأكولة، فإن كل بقرة مفردة تنوب عن كل الأبقار المربّاة في العام، وكل سنبلة ذرة تنوب عن كل الذرة النامية في العام.

والاستعارة الأخيرة هي استعارة الموارد طعام resources are food؛ حيث استهلاك الموارد هو أكل للطعام. إن التهام سنوات الرخاء من قبل سنوات القحط مؤوّل بوصفه إشارة إلى أن كل الموارد الفائضة لسنوات الرخاء ستكون مستهلكة في سنوات القحط. إن التأويل الكامل للحلم هو إذًا تأليف لثلاث استعارات عُرفية وكناية واحدة. فالموارد الاستعارية والكنائية مركّبة معًا لتشكّل حقيقة الحلم.

الأساطير: في استعارة بنية الحدث، ثمة ترسيم فرعي هو الأحداث الخارجية موضوعات [أشياء] كبيرة متحركة External Events are Large Moving Objects، وهي يمكنها أن تمارس تأثيرًا فيك، وبذلك تؤثّر فيما إذا كنت تحقّق أهدافك أو لا. والحالات الخاصة في الإنجليزية لمثل هذه الموضوعات هي «الأشياء» و«السوائل» و«الجياد». وقد لاحظت باميلا مورجان (في عمل غير منشور) أن في الأساطير اليونانية بوسيدون هو إله البحر والزلازل والجياد والثيران. إن القائمة قد تبدو اعتباطية إلا أن مورجان تلاحظ أن هذه جميعًا هي موضوعات كبيرة متحركة يمكنها أن تمارس تأثيرًا فيك. فبوسيدون، فيما تظن، يفترض في الواقع أن يُرى بوصفه إله الأحداث الخارجية.

الأعراض الفيزيقية: إن العقل اللاواعي the unconscious mind يفيد من نسق الاستعارة العُرفية، أحيانًا، ليعبّر عن حالات سيكولوجية من خلال أعراض فيزيقية. على سبيل المثال، ففي استعارة بنية الحدث ثمة ترسيم فرعي هو المصاعب عوائق للحركة Difficulties are impediments to motion التي من ضمنها، كحالة خاصة، المصاعب أحمال Difficulties are burdens، ومن الشائع إلى حدٍّ ما بالنسبة لمن يواجه مصاعب أن يسير وكتفاه محنيان، كما لو كان «حملاً ثقيلاً» يُثقله.

المؤسسات الاجتماعية: لدينا استعارة الوقت مال Time is money. بارزة في تعبيرات مثل «إنه يبدّد الوقت» "He is wasting time"، «يجب عليَّ أن أستغل(أقسّم) وقتي على أكمل وجه» "I have to budget my time"، «هذا سيوفّر وقتك» "This will save your time"، «لقد استثمرت الكثير من الوقت في ذلك» "I've invested a lot of time in that"، «إنه لا ينفق وقته بشكل مفيد» "He doesn't use his time profitably". لقد دخلت هذه الاستعارة إلى الاستخدام في الإنجليزية تقريبًا في زمن الثورة الصناعية، حين بدأ يُدفع للناس مقابل عملهم وفقًا لمقدار الزمن الذي يقضونه فيه. وبناء عليه، فإن المصنع قد أدى إلى التقسيم المؤسسي إلى فترتين زمنيتين لكلٍّ منهما قدر من المال، وهو ما شكّل الأساس الخبروي لهذه الاستعارة. ومنذ ذلك الحين أخذت الاستعارة تتعين بطرق أخرى عديدة. فموازنة الوقت انتشرت على امتداد الثقافة الأمريكية.

الممارسات الاجتماعية: ثمة استعارة تصورية هي أن الرؤية لمس Seeing is touching؛ حيث العيون أطراف، وتكون الرؤية متحققة حين يكون الموضوع المرئي ملموسًا touched. والأمثلة على ذلك هي: «لقد التقطت عيناي كل تفصيلة في النموذج» "My eyes picked out every detail of the pattern"، «لقد جرّى عينيه على الحائط» "He ran his eyes over the wall"، «لم يستطع أن يرفع عينيه عنها» "He couldn't take his eyes off her"، «تلاقت عيونهم» "Their eyes met"، «عيناه ملصوقتان (مسمّرتانِ) على التليفزيون» "His eyes are glued to the TV". إن الاستعارة متحقّقة في الممارسة الاجتماعية المتمثلة في تحاشي العين الاتصال Contact في الشارع، وفي الاستهجان الاجتماعي لـ تعرية شخص ما بعينيك Undressing someone with your eyes.

القوانين: القانون منطقة رئيسية تتحقق فيها الاستعارة. على سبيل المثال الهيئات أشخاص Corporations are persons يشكّل مبدأ للقانون الأمريكي، وهو ما لا يتيح فحسب للهيئات أن تكون «مضرورة» "harmed" أو محمّلة «المسئولية»، بحيث يمكن أن تتم مقاضاتها حين تكون مسئولة، وإنما أيضًا يعطيها حقوقًا معينة من التعديل الأول في الدستور.

السياسة الخارجية: الدولة شخص A State is a person، هي إحدى الاستعارات الرئيسية المباطنة لمفاهيم السياسة الخارجية. ومن ثمّ، توجد دول «صديقة» ودول «معادية» وما إلى ذلك. إن الصحة بالنسبة لدولة ما هي الصحة الاقتصادية economic health والقوة هي القوة العسكرية.

والتهديد للصحة الاقتصادية يمكن أن يُرى بوصفه تهديدًا بالموت، كما كان حين نُظر إلى العراق على أن لديها «مشنقة» "a stranglehold" على «طريق الحياة الاقتصادية» للولايات المتحدة. كذلك يُنظر إلى الدول القوية بوصفها ذكورًا والدول الضعيفة بوصفها إناثًا؛ بحيث إن هجومًا ما من دولة قوية على دول ضعيفة يمكن أن يُرى بوصفه «اغتصابًا» a rape، كما هو في حالة اغتصاب العراق للكويت. كما تتم مفهمة أية «حرب عادلة» بوصفها حكاية خرافية a fairy tale فيها الشرير والضحية والبطل؛ حيث يهاجم الشرير الضحية وينقذها البطل. وبناءً عليه، فقد تم تصوير الولايات المتحدة والتحالف في حرب الخليج بوصفهما منقذي الكويت. مثلما قال الرئيس بوش (الأب) في خطابه إلى الكونجرس: «إن الأمور لا يمكن أن تكون أوضح مما هي عليه؛ لقد كانت العراق هي الجاني والكويت هي الضحية».

أشكال الخطاب: كثيرًا ما تكون الاستعارات الشائعة متحقِّقة في أشكال الخطاب. تأمَّل ثلاثة أشكال أكاديمية شائعة للخطاب: الرحلة الموجَّهة The guided tour

والمعركة البطولية the heroic battle، والبحث البطولي The heroic quest.

إن الرحلة الموجَّهة مؤسَّسة على استعارة أن التفكير حركة Thought is motion؛ حيث الأفكار مواقع locations، ويستدل المرء «خطوة خطوة» "step-by-step"، أو «يصل إلى استنتاجات» "reaches conclusions"، أو يخفق في أن يصل إلى استنتاج إذا تورط في استدلال دائري circular reasoning. إن التواصل في هذه الاستعارة يتمثل في إعطاء شخص ما رحلة موجَّهة لحجاج عقلاني ما أو «لمنطقة ذهنية» ما. وهذه الدراسة مثال لرحلة موجَّهة من هذا النوع؛ حيث أنا، المؤلف، مرشد الرحلة المفترض أنه ملم إلمامًا عريضًا بالمجال والمجال المُسْتَعرَض surveyed مأخوذ على أنه حقيقي بصورة موضوعية. ونجد شكل خطاب المعركة البطولية مؤسَّسًا على استعارة الحجاج حرب Argument is war، ونظرية المؤلف هي البطل، والنظرية المعارضة هي الشرير، والكلمات هي الأسلحة. وتتخذ المعركة شكل حجاج يُدافع فيه عن موقع البطل ويُدمَّر موقع الشرير. أمَّا شكل خطاب البحث البطولي فإنه مؤسَّس على استعارة أن المعرفة موضوع قيم لكنه مراوغ، ويمكن أن يكون «مُكْتَشَفًا» إذا ما ثابر المرء. إن العالم هو البطل الباحث عن المعرفة، وشكل الخطاب هو بيان لرحلة اكتشافه الصعبة. وما هو «مُكْتَشَف» هو كيان فعلي.

إن ما يجعل كل هذه الحالات تحقُّقَات لاستعارات هو أنه في كل حالة ثمة شيء ما فعلي real مبني باستعارة عُرفية، وبواسطة ذلك تكون قابلة للفهم أو حتى طبيعية natural. وما هو فعلي real يختلف في كل حالة؛ فموضوع مثل مقياس الحرارة أو مؤشر سوق المال، خِبرة مثل الحلم، فعل مثل الشعيرة، شكل خطاب وما إلى ذلك.

إن هذه الأمثلة تكشف أن كثيرًا مما هو فعلي real في مجتمع ما أو في خبرة فرد يكون مبنيًا وله معنى بواسطة الاستعارة العُرفية.

إن الأسس الخِبروية وتحقُّقَات الاستعارة هما وجهان لعملة واحدة: إنهما معًا تلازمات correlations في خبرة فعلية لها البنية نفسها التي للتلازمات في الاستعارات. ويتمثل الاختلاف في أن الأسس الخبروية تسبق وترسي وتشكل معنى الترسيمات الاستعارية العُرفية، في حين أن التحقُّقَات تتلو ويغدو لها معنى بواسطة الاستعارات العُرفية.

وكما قد لا حظنا فيما سلف فإن تحقُّقَات جيل ما من أجيال استعارة بعينها يمكن أن تصبح جزءًا من الأساس الخِبروي للجيل التالي بالنسبة لتلك الاستعارة.

خلاصة النتائج

كما قد رأينا، فإن النظرية المعاصرة للاستعارة ثورية في جوانب عديدة منها.

ولنعطكم فكرة ما عن مدى كونها ثورية؛ ها هي قائمة بالنتائج الأساسية التي تختلف عن معظم الطروح السابقة.

طبيعة الاستعارة

- إن الاستعارة هي الآلية الأساسية التي نفهم من خلالها المفاهيم المجرَّدة ونمارس الاستدلال المجرَّد.
- إن الكثير من الموضوعات، من أكثرها حياتية mundane إلى أكثر النظريات العلمية استعصاء، يمكن لها فقط أن تُفهم بواسطة الاستعارة.
- إن الاستعارة بالأساس تصورية conceptual - وليست لغوية - في طبيعتها.
- إن الاستعارة اللغوية ليست إلا تجليًا سطحيًا a surface manifestation للاستعارة التصورية.
- على الرغم من أن نسقنا التصوري استعاري، فإن جزءًا مهمًا منه غير استعاري؛ إذ إنَّ الفهم الاستعاري مترسِّخ في الفهم غير الاستعاري.
- إن الاستعارة تتيح لنا أن نفهم موضوعًا مجردًا نسبيًا أو بطبيعته غير مبني، بناءً على موضوع أكثر تعينًا، أو على الأقل مبني بدرجة أعلى.

بنية الاستعارة

- إن الاستعارات ترسيمات عبر مجالات تصورية.
- وتلك الترسيمات غير متماثلة الأطراف asymmetric وجزئية.
- كل ترسيم هو مجموعة ثابتة من التناظرات الأنطولوجية بين الكيانات في مجال الانطلاق والكيانات في مجال الوصول.
- حين يتم تفعيل تلك التناظرات الثابتة يمكن للترسيمات أن تُسقِط نماذج استدلال مجال الانطلاق على نماذج استدلال مجال الوصول.

- الترسيمات الاستعارية تخضع لمبدأ الثبات؛ حيث تُسْقَط بنية خطاطة الصورة الخاصة بمجال الانطلاق على مجال الوصول بطريقة متوافقة مع البنية الملازمة لمجال الوصول.
- إن الترسيمات ليست اعتباطية arbitrary، وإنما مترسِّخة في الجسد وفي الخبرة وفي المعرفة «اليومية».
- إن أي نسق تصوري يحوي آلاف الترسيمات الاستعارية العُرفية التي تشكِّل نسقًا فرعيًا مبنيًا بدرجة عالية من الإحكام للنسق التصوري.
- ثمة نمطان من الترسيمات: ترسيمات تصورية conceptual mappings وترسيمات صور image-mappings، وكلاهما يخضعان لمبدأ الثبات.

بعض جوانب الاستعارة

- إن نسق الاستعارة التصورية العُرفية غيرُ واعٍ في معظمه وآليّ، ومُسْتَخْدَم دون جهد ملحوظ، تمامًا مثلما هو نسقنا اللغوي وبقية نسقنا التصوري.
- إن نسق الاستعارة العُرفية الخاص بنا حي alive بالمعنى نفسه الذي به نسقنا النحوي حي وقواعدنا الفونولوجية حية، أي أنه باستمرار موضع استخدام بشكل آلي ودون مستوى الوعي.
- إن نسق الاستعارة الخاصة بنا مركزيّ بالنسبة لفهمنا للخبرة، وبالنسبة للكيفية التي نسلك بها بناءً على ذلك الفهم.
- إن الترسيمات العُرفية تناظرات ثابتة static correspondences، وليست بذاتها حسابية في طبيعتها. مع ذلك، فإن هذا لا يستبعد على الإطلاق إمكانية أن تكون مثل هذه التناظرات الثابتة مُسْتَخْدَمة في تشغيل اللغة language processing الذي يتضمَّن خطوات متتابعة.
- إن الاستعارة في معظمها مؤسَّسة على تناظرات في خبرتنا، وليس على التشابه.
  إن نسق الاستعارة يلعب دورًا رئيسيًا في كلٍّ من نحو ومعجم اللغة.
- إن الترسيمات الاستعارية تتفاوت في كَوْنِيَّتِهَا؛ إذ يبدو بعضها كونيًا universal، وبعضها واسع الانتشار، وبَعْضُها الآخر يبدو خاصًا بالثقافة.
- إن الاستعارة الشعرية، في الجزء الأكبر منها، هي توسيع للنسق العُرفي اليومي لتفكيرنا الاستعاري.

هذه هي النتائج التي تتوافق على أفضل ما يكون مع الدراسات الإمبريقية التي أُجريت على الاستعارة خلال العقد الماضي أو ما يقترب منه. ومع أن عديدًا منها غير متوافق مع الرؤى التقليدية، فإنها ليست جميعًا جديدة، بل إن بعض الأفكار، مثل المفاهيم المجرَّدة؛ تفهم بناء على مفاهيم متعينة - ذات تاريخ طويل.

ملاحظات ختامية

إن الأدلة الداعمة للنظرية المعاصرة للاستعارة دامغة وتتنامى كل عام، بينما يستمر البحث في الحقل. وتأتي هذه الأدلة، كما رأينا سلفًا، من خمسة مجالات:

- التعميمات حول التعدد الدلالي polysemy.
- التعميمات حول نماذج الاستدلال.
- التعميمات حول توسيعات الحالات الشعرية.
- التعميمات حول التغير الدلالي.
- التجارب السيكو لغوية.

لقد ناقشت بعضًا فحسب من الأمثلة الخاصة بالمجالات الثلاثة الأولى من هذه المجالات، وعسى أن تكون كافية، فيما آمل، أن تجعل القارئ شغوفًا بالحقل. ومع ذلك، فإن الدليل يكون مُقْنِعًا فقط إذا أمكن أن يُعتدَّ به كدليل. لكن متى يخفق الدليل تمامًا في أن يكون دليلاً؟ لسوء الحظ إنه كثيرًا جدًّا ما يخفق؛ حيث كثيرًا ما تكون حقول معينة محدَّدة بفروض تستبعد إمكانية الدليل المضاد. إذ عندما يعارض افتراض محدِّد الدليل عادة ما يخسر الدليل؛ إذ يتوجب على العاملين في هذا الحقل أن يتجاهلوا الدليل إذا ما أرادوا أن يحافظوا على الافتراضات التي تحدِّد الحقل الذي يلتزمون به.

إن جزءًا مما يجعل النظرية المعاصرة للاستعارة مثيرة للغاية هو أن الدليل عليها يناقض الافتراضات المحدِّدة لمجالات معرفية أكاديمية عديدة جدًّا.

وفي تصوري أن هذا ينبغي أن يجعل المرء يتشكك في الافتراضات المحدّدة لكل تلك المجالات المعرفية. ولعل السبب يعود إلى أن الافتراضات المحدّدة للنظرية المعاصرة للاستعارة في أدنى الحدود؛ إذ ثمة افتراضان فحسب.

١) التزام التعميم: البحث عن التعميمات في كل مناطق اللغة، بما في ذلك التعدد الدلالي، ونماذج الاستدلال، والاستعارة الجديدة، والتغير الدلالي.

٢) الالتزام المعرفي: أن يُؤخذ الدليل التجريبي بجدية، إلا أن هذين ليسا إلا التزامين بالدراسة العلمية للغة والعقل؛ إذ لا يوجد التزام ابتدائي فيما يخص شكل الجواب عن سؤال «ما الاستعارة؟».

هذا في حين أنّه كثيرًا ما تتضمن الافتراضات المحدّدة لحقول أخرى التزامًا بخصوص شكل الجواب عن ذلك السؤال. ولعله من المفيد، في كتاب متداخل المجالات من نوع هذا الكتاب، أن يُنص تحديدًا على تلك الافتراضات المحدّدة، بما أنها ستفسر كثيرًا لماذا يتوصل كُتّاب مختلفون إلى مثل تلك النتائج المختلفة حول طبيعة الاستعارة.

التزامات المعنى الحرفي

لقد بدأت هذا الفصل بقائمة الافتراضات الزائفة التي أصبحت شائعة حول المعنى الحرفي. إلا أن هذه الافتراضات «زائفة» فقط بالنسبة إلى أنواع الأدلة التي تدعّم النظرية المعاصرة للاستعارة. أمّا إذا ما تجاهل المرء مثل تلك الأدلة جميعًا، فإن الافتراضات يمكنها أن تبقى دون تناقض.

إن الفروض الخاصة بالحرفية literality موضع للعديد من التناقضات بين النظرية المعاصرة للاستعارة ومجالات معرفية أكاديمية متنوعة. دعونا إذًا نراجع تلك الافتراضات. لقد لاحظت في نقاشي السالف للمعنى الحرفي أنه مأخوذ بوصفه تعريفيًا definitional؛ بحيث إن ما هو حرفي لا يكون استعاريًا.

وتتمثل «الفروض والنتائج الزائفة» التي عادة ما تصاحب كلمة «حرفي» فيما يلي:

- كل اللغة العُرفية اليومية حرفية، وليس فيها ما هو استعاري.
- كل موضوع يمكن أن يستوعب حرفيًا، بدون استعارة.
- اللغة الحرفية فقط هي التي يمكنها أن تكون وفقًا للظروف صادقة true، أو كاذبة false.

- كل التحديدات المعطاة في معجم أية لغة هي حرفية، لا استعارية.
- المفاهيم المستخدمة في نحو أية لغة كلها حرفية، وليس فيها ما هو استعاري.

وسنبدأ بفلسفة اللغة. إن التزام التعميم والالتزام المعرفي ليسا تعريفيين بالنسبة لفلسفة اللغة، ومعظم فلاسفة اللغة لن يشعروا بحاجة إلى أن يلتزموا بهما لسبب وجيه جدًّا؛ ذلك أن فلسفة اللغة لا يُنظر إليها نمطيًّا على أنها مجال معرفي إمبريقي مقيَّد بنتائج إمبريقية من قبيل تلك التي تنشأ من تطبيق التزام التعميم والالتزام المعرفي. بل بدلاً من ذلك يُنظر عادة إلى فلسفة اللغة بوصفها مجالاً معرفيًّا قبليًّا a priori discipline، يمكن المضي فيه باستخدام أدوات التحليل الفلسفي وحدها، وليس أدوات البحث الإمبريقي. ولذلك فإن كل الأدلة التي ولَّدتها النظرية المعاصرة للاستعارة لن تعني معظم فلاسفة اللغة.

إضافة إلى ذلك، إن فلسفة اللغة تأتي بجهاز افتراضاتها المحددة الخاص بها، مما يلزم عنه عديد من الافتراضات الزائفة المصحوبة عادة بكلمة «حرفي». ومعظم ممارسي فلسفة اللغة عادة ما يطرحون افتراضًا أو أكثر من الافتراضات التالية:

- نظرية مطابقة الحقيقة.
- المعنى محدَّد بناء على المرجع والحقيقة.
- دلاليات اللغة الطبيعية مشخَّصة بآليات المنطق الرياضي، بما في ذلك نظرية النموذج model theory.

إن حقل فلسفة اللغة في حد ذاته يأتي وفق ذلك بافتراضات محدِّدة تناقض النتائج الأساسية للنظرية المعاصرة للاستعارة. ومن ثمَّ نستطيع أن نرى لماذا يوجد لدى معظم فلاسفة اللغة هذا المدى من الرؤى التي لديهم عن الاستعارة: إنهم يقبلون التمييز التقليدي (حرفي – مجازي) إنهم يمكن أن يقولوا - مثل مارك جونسون (١٩٨١) -: إنه ليس ثمة معنى استعاري، وإن معظم التلفظات الاستعارية إمَّا أنها صادقة بشكل تافه trivially true، وإمَّا كاذبة بشكل تافه trivially false، أو مثل جرايس (1989, p. 34) وسيرل (في هذا الكتاب) اللذين سيفترضان أن الاستعارة تقع في نطاق التداولية، أي أن المعنى الاستعاري ليس أكثر من المعنى الحرفي لجملة أخرى بالإمكان الوصول إليها بواسطة مبدأ من المبادئ التداولية. إن هذا مطلوب، ما دام المعنى الوحيد الحقيقي بالنسبة إليهم هو

المعنى الحرفي، والمبادئ التداولية هي تلك المبادئ التي تتيح للمرء أن يقول شيئًا ما (له معنى حرفي) ويعني شيئًا آخر (له معنى مختلف، لكنه مع ذلك حرفي).

إن قدرًا كبيرًا من اللغويات التوليدية يُقر افتراضًا أو اثنين من هذه الافتراضات الخاصة بفلسفة اللغة. أمَّا حقل الدلاليات الشكلية فيقبلها جميعًا، ومن ثم فإن الدلاليات الشكلية، بافتراضاتها المحدّدة، على خلاف مع النظرية المعاصرة للاستعارة.

فالدلاليات الشكلية ببساطة لا ترى أن من وظيفتها أن تفسر التعميمات المناقشة في هذا الفصل.

ومن منظور الدلاليات الشكلية، فإن الظواهر المهتمة بها النظرية المعاصرة للاستعارة إمَّا أنها غير موجودة وإمَّا غير مهمة؛ بما أنها تقع خارج نطاق المجال.

ومن ثَمَّ، فإن جيرولد سادوك يزعم في الفصل الخاص به في هذا الكتاب أن الاستعارة تقع خارج نطاق اللغويات التزامنية. وبما أن سادوك يتخذ المنطق الرياضي بوصفه المقاربة الصحيحة بالنسبة لدلاليات اللغة الطبيعية، فإنه لا بد من أن يرى الاستعارة بوصفها خارج نطاق الدلاليات بمعناها الحقيقي. ويجب عليه وفق ذلك أيضًا أن يرفض مشروع النظرية المعاصرة للاستعارة. وكذلك يتفق مورجان (في هذا الكتاب)، وهو أيضًا يقبل تلك الافتراضات المحدّدة لفلسفة اللغة، مع جرايس وسيرل في أن الاستعارة مسألة خاصة بالتداولية.

كما تقبل أيضًا نظرية تشومسكي عن العامل والربط (١٩٨١) افتراضات خطيرة من فلسفة اللغة لا تتوافق مع النظرية المعاصرة للاستعارة. ونظرية العامل والربط، المُتَّبعة لنظريتي المبكرة في الدلاليات التوليدية، تفترض أن الدلاليات ينبغي أن تكون ممثَّلة بلغة الشكل المنطقي logical form. كما أن نظرية العامل والربط، مثلها مثل الدلاليات التوليدية، تستبعد كذلك مجرد إمكانية أن تكون الاستعارة جزءًا من دلاليات اللغة الطبيعية بما أنها تدخل في النحو. وبسبب هذا الافتراض المحدّد، فإنني لا أتوقع من مُنَظِّري العامل والربط أن يصبحوا مشغولين بالظواهر التي تغطيها النظرية المعاصرة للاستعارة.

ومن المثير أن الكثير من الفلسفة الأوروبية والتفكيكية يتميز أيضًا بافتراضات محددة على خلاف مع النظرية المعاصرة للاستعارة. فنيتشه (انظر جونسون، ١٩٨١) تصور أن اللغة كلها استعارية، وهي نظرية على خلاف مع تلك النتائج الموضّحة أن قدرًا مهمًّا من اللغة اليومية ليست استعارية (انظر تحت

«ما ليس استعاريًا»). إن قدرًا كبيرًا من الفلسفة الأوروبية، في ظل ملاحظة أن النسق التصوري يتغير عبر الزمن، يفترض أن الأنساق التصورية مشروطة تاريخيًا بصورة خالصة، إلى حد أنه لا توجد كليات تصورية. وعلى الرغم من أن الأنساق التصورية تتغير بكل تأكيد عبر الزمن، فإنه يوجد مع ذلك ما يبدو أنه استعارات تصورية كلية، أو على الأقل واسعة الانتشار جدًا. واستعارة بنية الحدث هي مرشحي الراهن على الكلية الاستعارية.

إن الفلسفة الأوروبية تأتي أيضًا بتمييز بين دراسة العالَم الفيزيقي، التي يمكن أن تكون علمية، ودراسة الكائنات الإنسانية التي تقول بأنها لا يمكن أن تكون علمية.

وهذا على خلاف كبير جدًا مع نظرية الاستعارة التصورية التي هي مشروع علمي إلى حد كبير جدًا.

أخيرًا، إن النظرية المعاصرة للاستعارة على خلاف كذلك مع أدبيات محدَّدة في الذكاء الاصطناعي الرمزي وسيكولوجيا معالجة المعلومات. إذ تفترض تلك الحقول أن التفكير هو مسألة تشغيل رموز لوغارتمية من النوع الذي يؤديه برنامج كمبيوتر تقليدي. وهذا الافتراض المحدَّد غير متوافق مع النظرية المعاصرة للاستعارة في جانبين:

أولاً، إن النظرية المعاصرة تملك أساس صورة خطاطية an image-schematic basis. كما أن مبدأ الثبات يتميز بأنه ينطبق على استعارات الصورة image metaphors وأنه يحدِّد القيود على الاستعارة الجديدة. وبما أن أنظمة تشغيل الرموز لا يمكنها أن تعالج خطاطات الصورة image schemas، فإنها لا يمكنها أن تتعامل مع استعارات الصورة أو الرواسم التصويرية imageable idioms.

ثانيًا، إن تلك الأدبيات لا بد لها من أن تشخِّص الترسيم الاستعاري بوصفه عملية حسابية تأخذ بشكل نمطي المعاني الحرفية بوصفها مُدخلات input، وتعطي قراءة استعارية بوصفها مخرجات output. وهذا يتعارض مع الحالات التي تكون فيها استعارات متعددة متداخلة في جملة واحدة، وتتطلب التفعيل المتزامن the simultaneous activation لعدد من الترسيمات الاستعارية. إن النظرية المعاصرة للاستعارة ليست إذًا مثيرة فقط في ذاتها، بل إنها مثيرة بشكل خاص من أجل التحدي الذي تطرحه على حقول معرفية أخرى. وإذا ما تم قبول نتائج النظرية المعاصرة، فإن الافتراضات المحدَّدة لحقول بأكملها ستوضع موضع التساؤل.

ملحوظة: لقد تم دعم هذا البحث جزئيًا بمنح من صندوق سلوان Sloan، وصندوق العلم الوطني (IRI-8703202) بجامعة كاليفورنيا في بيركلي.

إن الزملاء والطلاب التالية أسماؤهم قد ساعدوني في هذا المقال بصور متعددة، بداية من التعليقات النافعة ووصولاً إلى السماح لي بالاقتباس من أبحاثهم، وهم:

Adele Goldberg, Claudia Brugman, Eve Sweetser, Jane Espenson, Karin Myhre, Ken Baldwin, Mark Johnson, Mark Turner, Ray Gibbs, Sharon Fischler.

ملحق: ببليوجرافيا مصحوبة بتعليقات

إن معظم الفصول الواردة في هذه الطبعة ظهرت أيضًا في الطبعة الأولى عام ١٩٧٩، وهكذا فإن تاريخها يسبق النظرية المعاصرة للاستعارة. ولهذا السبب فلعله من المفيد للقارئ تقديم بيبلوجرافيا موجزة مزودة بتعليقات عن الكتب والأبحاث الأساسية في النظرية المعاصرة المكتوبة منذ ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب.

Gibbs, R.W. Jr. "Psycholinguistic Studies on the Conceptual Basis of Idiomaticity". *Cognitive Linguistics* 1, no. 4 (Jan 1990): 417–462.

عرض شامل للنتائج السيكولغوية مبرهن على الواقع المعرفي للاستعارة التصورية والرواسم التصويرية.

Johnson, Mark. *Philosophical Perspectives on Metaphor*. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1981.

أفضل منتخب من كتابات الفلاسفة عن الاستعارة. وتعد مقدمة المؤلف أفضل استعراض تاريخي موجز لتاريخ الاستعارة في الفلسفة.

Johnson, Mark. *The Body in the Mind: The Bodily Basis of Meaning, Reason and Imagination*. Chicago: University of Chicago Press, 1987.

يتضمّن نقاشًا للقضايا الفلسفية الناجمة عن اكتشاف نسق الاستعارة التصورية.

Kovecses, Zoltán. *Emotion Concepts*. New York: Spring-Verlag, 1990.

يحتوي على برهنة شاملة وموثّقة بصورة مهولة على أن الانفعال مفهم استعاريًا.

Lakoff, George. *Women, Fire, and Dangerous Things: What Categories Reveal about the Mind*. Chicago: University of Chicago Press, 1987.

استعراض للأدبيات المعاصرة حول التصنيف الفئاتي، بما في ذلك دور الاستعارة في تشكيل الفئات التصنيفية. ويتضمّن نظرية عامة عن تمثل معنى الاستعارة التصورية وجوانب أخرى من الدلاليات المعرفية.

Lakoff, George. "Philosophical Speculation and Cognitive Science". *Philosophical Psychology* 2, no. 1 (1989): 55–76.

يتضمّن نقاشًا للفروض المتباينة وراء الدلاليات التوليدية والنحو التوليدي.

Lakoff, George. *Metaphor and War: The Metaphor System Used To Justify War in the Gulf*. N.p., 1991.

Lakoff, George. *Engulfed in War: Just War and the Persian Gulf*. Edited by Brien Hallet. Honolulu: Spark Matsunaga Institute for Peace and Conflict Resolution, 1991.

See also, *Journal of Urban and Cultural Studies* 2, no.1 (1991); *Vietnam Generation Newsletter* 3, no. 2 (Nov 1991); *The East Bay Express* (Feb 1991).

تحليل للنسق الاستعاري المستخدم في الخطاب الجماهيري وتدابير السياسة الخبيرة في حرب الخليج، مع ما أخفته الاستعارة، ونقد للحرب قائم على هذا التحليل.

Lakoff, George, and Claudia Brugman. "Argument Forms in Lexical Semantics". In *Proceedings of the Twelfth Annual Meeting of the Berkeley Linguistics Society*, edited by V. Nikiforidou, M. Van Clay and D. Feder. Berkeley, CA, 1986: 442-454.

استعراض لأشكال البراهين المستخدمة في تبرير التحليل الاستعاري، ومقارنة مع أشكال البراهين المناظِرة في التركيب النحوي والفونولوجي.

Lakoff, George, and Mark Johnson. *Metaphors We Live By*. Chicago: University of Chicago Press, 1980.

أول كتاب يرسّم الخطوط الأساسية للنظرية المعاصرة للاستعارة.

Lakoff, George, and Mark Turner. *More Than Cool Reason: A Field Guide to Poetic Metaphor*. Chicago: University of Chicago Press, 1989.

استعراض لآليات الاستعارة الشعرية، وهو حافل بالأمثلة.

Sweetser, Eve. *From Etymology to Pragmatics: The Mind–as–Body Metaphor in Semantic Structure and Semantic Change*. Cambridge: Cambridge University Press, 1990.

أفضل عمل إلى الآن حول دور الاستعارة في التغير الدلالي، والأساس الاستعاري للتداولية.

Talmy, Leonard. "Force Dynamics in Language and Thought". In *Papers from the Parasession on Causatives and Agentivity*. Chicago: Chicago Linguistic Society, 1985.

وهو التحليل الذي قاد إلى دراسة الأساس الاستعاري للجهة والسببية.

Turner, Mark. *Death is the Mother of Beauty: Mind, Metaphor, Criticism*. Chicago: University of Chicago Press, 1987.

دراسة للاطرادات الواقعة وراء كل استعارات القرابة منذ تشوسر إلى والس ستيفينز، بما في ذلك دور الاستعارة في الأليجوري (الأمثولة).

وقد لاحظ تيرنر أيضًا تفشي استعارة السببية إنجاب The Causation is Progeneration، والقيد الذي كان بشيرًا بمبدأ الثبات.

Turner, Mark. *Reading Minds: The Study of English in the Age of Cognitive Science*. Princeton: Princeton University Press, 1991.

وهو إعادة تقييم لتدريس الإنجليزية ودراسة اللغة الإنجليزية في ضوء دراسات حديثة عن طبيعة الاستعارة ودراسات أخرى في العلوم المعرفية.

Winter, S. L. "Transcendental Nonsense, Metaphoric Reasoning, and the Cognitive Stakes for Law". *University of Pennsylvania Law Review* 137 (1989): 1105–1237.

هو أكثر مقالات وينتر العديدة شمولاً في نقاشه لدور الاستعارة في القانون.

تعليقات المترجم

(١) وفق معاجم الرياضيات يشير مصطلح mapping إلى عملية تعريف الدالة، خصوصًا الدالة الهندسية.

(٢) كل أسماء الترسيمات الاستعارية هذه مكتوبة في الأصل الإنجليزي بالحروف الكبيرة ببنط صغير، وقد عوَّضنا عن ذلك في العربية باستخدام البنط الثقيل.

(٣) لعله من الواضح للقارئ أن ترجمة تعبير "ahead of" الوارد في جملة "John is way ahead of Bill in intelligence" بـ «متقدم على» لا يعكس الترابطات الدلالية المضمَّنة في كلمة "head" التي تحيل على الرأس والمشتق منها تعبير "ahead of". لكن مع ذلك، يمكننا أن نلاحظ أن التعبير العربي نفسه الذي تُترجم به عبارة "ahead of" أي تعبير «متقدم على» هو نفسه استعارة جسدية مشتقة من «القدم» في مقابل «الرأس» في الإنجليزية، كما نلاحظ أنها ترسيم فضائي، وأنها تشير إلى الاتجاه الذي يواجهه ويسير فيه المرء؛ مما يجعلها استعارة قادرة على الوفاء بالبنية التصورية للاستعارة الأولى في الإنجليزية؛ إذ بعيدًا عن اختلاف المرجع المشتقة منه كل استعارة من الاستعارتين: الرأس # القدم، تظل كل منهما مكافئة للأخرى على مستوى المرجعية الجسدية وعلى مستوى البنية التصورية المتضمَّنة في كلٍّ منهما، مع ملاحظة أن لدينا في العربية تعبيرات تجمع بين الرأس والقدم؛ مثل: «إنني متقدم رأسًا إلى ...» و«رأسًا يتقدم إلى ...»، إلا أن ترجمة هذا التعبير المشار إليه من الإنجليزية إلى العربية لا يمكن أن تُستخدَم فيه سوى استعارة مشتقة من القدم وليست من الرأس.

(٤) بالطبع الترجمة الأسلس والمتعارفة لجملة: "The time for action has arrived" هي «لقد حان وقت الفعل»، إلا أن مثل هذه الترجمة لن تعكس البعد الاستعاري في الجملة، والمتمثل في ترسيم الزمن من خلال الفضاء؛ وذلك لأن الفعل «حان» من أفعال الزمن، في حين أن المستهدف من المثل هو إبراز ضرورة القراءة الاستعارية للجملة في ضوء مراعاة خصوصية استخدام اللغة الإنجليزية للفعل "arrive" مع الزمن.

(٥) إن التعبير المستخدم في العربية بالطبع هو «أصابني صداع»، إلا أنه لن يعكس ما يشير إليه المؤلف هنا بخصوص نسق الاستعارة في الإنجليزية وأن التغير إحراز، وأن المتحدث هنا هو الفاعل، أي هو المُحرِز، وبالطبع فإن ترجمة المثال بـ«أصابني صداع» لا تعكس هذا؛ ذلك أن الفاعل (المُحرِز) في المثال العربي هو الصداع وليس الشخص على نحو ما ينعكس في المثال، لذلك لجأتُ إلى هذه الترجمة الحرفية المستهجنة؛ لكي تعكس نسق استعارة التغيير في الإنجليزية بوصفه إحرازًا .

(٦) الإشارة هنا إلى الطبعة الأولى من كتاب «الاستعارة والفكر» التي لم تكن تتضمن دراسة ليكوف وخمس مقالات أخرى ظهرت في الطبعة الثانية عام ١٩٩٣.

(٧) على نحو مناظر، نجد في العربية تعبيرات مثل: «السلم الوظيفي، والتدرج في السلم الوظيفي، ومشوار فلان الوظيفي أو المهني، ومسيرة فلان المهنية أو الوظيفية، وعبر رحلتي المهنية، وعلى امتداد - أو مدار - رحلتي الوظيفية أو المهنية أو الفنية أو العلمية ... إلخ».

(٨) يشير جورج ليكوف هنا إلى كتابه الرائد مع مارك جونسون «الاستعارات التي نحيا بها»، الذي يعده كثيرون مُدشِّنًا لهذا الإدراك الجديد للنسق التصوري الإنساني كنسق استعاري، وإن كان القول بالريادة المطلقة هنا يعد مثار جدل وخلاف إذا ما تمت العودة إلى أعمال من قبيل فيكو ونيتشه، انظر، على سبيل المثال: نيتشه، «الحقيقة والزيف بمعنى مجاوز لما هو أخلاقي»، ترجمة: طارق النعمان، مجلة إبداع، العدد السابع والثامن. صيف وخريف ٢٠٠٨.

(٩) لا يخفى على القارئ العارف بالبلاغة العربية أن ما يشير إليه ليكوف هنا على أنه كناية يقع ضمن التصنيف المعروف للمجازات في البلاغة العربية تحت عنوان: المجاز المرسل، وعلاقته هي الجزئية.